

books37



مقامات بديع الزمان

كتاب مقامات

مؤلفه محمد قاسم بن علي الحريري المتوفى سنة 515

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان كما نحمدك
على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء ونعوذ بك من شرة
اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر
ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح واغضاء المسامح كما
نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح و
نستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك
من نقل الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا
قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق
ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة

هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وان
تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة
وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة
في الفكاهة حتى نامن حصائد الالسنة ونكفى غوائل
الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة
ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية ولا تقصنا
عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك
يد المسألة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك
الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل
ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت
بالنبيين واعليت درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وانت
اصدق القائلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين اللهم فصل عليه وآله الهادين
واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين

وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على كل شي قدير وبالاجابة جدير

اما بعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه

وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان

رحمه الله وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشاتها والى عيسى بن هشام روايتها

وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته

غنم الى ان انشي مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شاو الضليع

فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم بيتا او بيتين واستقلت

هذا المقام الذي يحار فيه الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين

المرء ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل او جالب رجل وخيل

وقلما سلم مكثار او اقيل لعثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا اعفى من المقالة

لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت في طاعته جهد المستطيع وانشات على

ما اعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة

خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان

ودرره وملح الادب ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات

ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية والاحاجي النحوية

و

والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية

والاضاحيك الملهية مما امليت جميعه على لسان ابي زيد السروجي واسندت

روايته الى الحارث بن همام البصري وما قصدت بالاحماض فيه الا

تنشيط قاريه وتكثير سواد طالبيه ولم اودعه من الاشعار الاجنبية الا

بيتين فذين اسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توامين ضمنتهما

خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري ابو عذره ومقتضب حلوه

ومره هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات

وان المتصدي بعده لانشاء مقامة ولو اوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من

فضالته ولا يسري ذلك المسرى الا بدلالته ولله در القائل نظم

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا

بكاها فقلت الفضل للمتقدم وارجو ان لا اكون في الهذر الذي اوردته

والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن انفه

فالحق بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم

يحسنون صنعا على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي

لا اكاد اخلص من غمر جاهل او ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد بانه

من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين المعقول وانعم النظر في مباني الأصول
نظم هذه المقامات في سلك الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن
العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات
او اثم رواتها في وقت من الاوقات ثم اذا كانت الاعمال بالنيات
وبها انعقاد العقود الدينيات فاي حرج على من انشأ ملحا للتنبيه لا
للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الاكاذيب وهل هو في ذلك
الا بمنزلة من انتدب لتعليم او هدى الى صراط مستقيم
على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا
وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم واسترشد
الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا
التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه انيب

المقامة الأولى

حدث الحارث بن همام قال
لما اقتعدت غارب الاغتراب وانأتني المتربة
عن الاتراب طوحت بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن
فدخلتها خاوي الوفاض بادي الانفاض لا املك بلغة ولا اجد في
جرابي

مضغة

مضغة فطفقت اجوب طرقاتها مثل الهائم واجول في حوماتها
جولان الحائم وارود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي
وروحاتي كريما اخلق له ديباجتي وابوح اليه بحاجتي او اديبا
تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى ادتني خاتمة المطاف
وهدتني فاتحة الالطاف الى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب
فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرأيت في بهرة الحلقة شخصا
شخت الخلقة عليه اهبة السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع
بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقد احاطت به اخلاط
الزمر احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس
من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته يقول حين خب في مجاله وهدرت
شقاشق ارتجاله ايها السادر في غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح
في جهالاته الجانح الى خزعبلاته الام تستمر على غيك وتستمرئ
مرعى بغيك وحتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك
مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى
عن قريبك وانت بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك ولا تخفى خافية على مليكك

أتظن أن ينفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين
توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك إذا زلت قدمك أو يعطف
عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت
معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك
أما الحمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب إنذارك فما إعذارك وفي اللحد
مقيلك فما قيلك وإلى الله مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك الدهر
فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت
وحصحص لك الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت وأمكنك أن تواسي
فما آسيت تؤثر فلساً توعيه على ذكر تعيه وتختار قصراً تعليه على بر
توليه وترغب عن هاد تستهدي به إلى زاد تستهديه وتغلب حب ثوب
تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة
ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف
الألوان أشهى إليك من صحائف الأديان ودعابة الأقران آنس لك من تلاوة
القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر ولا تتحاماه
وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد

تباً لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه ما يستفيق غراماً بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه ثم إنه لبد عجاجته وغيض مجاجته
واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة إلى تحفزه
ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده في جيبه فأفعم له
سجلاً من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم
مغضياً وانثنى عنهم مثنياً وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم مهيعه
ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحارث بن همام فاتبعته
موارياً عنه عياني وقفوت أثره من حيث لا يراني حتى انتهى إلى مغارة
فانساب فيها على غرارة فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه
ثم هجمت عليه فوجدته مثافناً لتلميذ على خبز سميذ وجدي
حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك خبرك
وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق
إلي حتى خفت أن يسطو علي فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد
لبست الخميصة أبغي الخبيصة وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة أريغ القنيص بها والقنيصه

والجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم اهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصه
ولو انصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه
وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا
ابو زيد السروجي سراج الغربا وتاج الادبا فانصرفت من حيث اتيت
وقضيت العجب مما رايت

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي العمائم
بان اغشى معان الادب وانضي اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون لي
زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه
والطمع في تقمص لباسه اباحث كل من جل وقل واستسقي الوبل والطل
واتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان
وخبرت ما شان وزان الفيت بها ابا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب
ويخبط في اساليب الاكتساب فيدعي تارة انه من آل ساسان ويعتزي مرة

مع حبك وجنبك فقال لا ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال
لمن صال واحتمل الخليط ولو ابدى التخليط واود الحميم
ولو جرعني الحميم وافضل الشفيق على الشقيق وافي للعشير وان لم يكاف
بالعشير واستقل الجزيل للنزيل واغمر الزميل بالجميل وانزل سميري منزلة
اميري واحل انيسي محل رئيسي واودع معارفي عوارفي واولي مرافقي
مرافقي والين مقالي للقالي وادیم تسآلي عن السالي وارضى من الوفا
باللفا واقنع من الجزا باقل الاجزا ولا اتظلم حين اظلم ولا انقم
ولو ادغني الارقم فقال له صاحبه انما يضن بالضنين وينافس في الثمين
لكن انا لا آتي غير المواتي ولا اسيم العاتي مراعاتي ولا اصافي
من يأبى انصافي ولا اواخي من يلغي الاواخي ولا امالي من يخيب آمالي
ولا ابالي بمن صرم حبالي ولا اداري من جهل مقداري ولا اعطي
زمامي من يخفر ذمامي ولا ابذل ودادي لاضدادي ولا ادع
ايعادي للمعادي ولا اغرس الايادي في ارض الاعادي ولا اسمح
بمواساتي لمن يفرح بمساءتي ولا ارى التفاتي الى من يشمت بوفاتي
ولا اخص بحباي الا احبائي ولا استطب لدائي غير اودائي

ولا أملك خلتي من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي لمن لا ينقع وعائي ولا أفرغ ثنائي على من
يفرغ انائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين وتخشن
وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال
وزن المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن
ونكفي التضاغن والا فلم أعلك وتعلني وأقلك وتستقلني
وأجرح لك وتجرحني وأسرح اليك وتسرحني وكيف تجتلب
انصافي بضيم وأنى تشرق شمس مع غيم ومتى أصحب ود بعسف وأي حر
رضي بخطة خسف ولله أبوك اذ يقول شعر

جزيت من أعلق بي وده جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى من يومه أخسر من أمسه
وكل من يطلب عندي جنا فما له الا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه

ورب مذق الهوى خال اذا صدقه الود على لبسه
وما درى من جهله أنني أقضي غريم الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن أنسه
ولا ترج الود ممن يرى أنك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى أن أعرف
عينهما فلما لاح ابن ذكا وألحف الجو الضيا فاتني استقلال
الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقري صوب الصوت الليلي
وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان
وعليهما بردان رثان فعلمت أنهما نجيا ليلتي وصاحبا أبياتي فقصدت
قصد كلف بما شاهدت من رثاثتهما وأنخت لهما التحول الى حلتي والتحكم
في كثري وقلي وطفقت أسعى بين السيارة فضلهما وأهز لهما الأعواد
المثمرة لهما الى أن عرفا بالنحلان وأنجدا من الخلان وكنا بمغرب
تبين منه بنيان القرى وتنور نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلا
كيسه وانجلا بؤسه قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن لي

في قصد قرية لاستنجز واقضي هذا المهم فقلت اذا شئت فالبزعة
البزعة والرجعة الرجعة فقال ستجدني اطلع عليك اسرع من ارتداد
طرفك اليك ثم استبان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار
ولم يخل انه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه
بالطلائع والرواد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار
فلما طال امد الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار قلت لاصحابي
قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان اضعنا الزمان وبان
ان الرجل مان فتاهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت
لاحدج راحلتي واتحمل لرحلتي فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر
لا تحسبن اني نايت عن ملال او اشر
لكنني مذ لم ازل ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرات الجماعة القتب ليعذره من كان عتب فاعجبوا باحراقه
وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

المقامة الخامسة وتسمى الكوفية

٥

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها
ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان وما فيهم الا من يحفظ عنه
ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر
الى ان غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم
سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم
في الليل المدلهم فقال شعر

يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا الى ذراكم شعثا مغبرا
اخا سفار طال واسبطرا حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا وقد عرا فناءكم معترا
وامكم دون الانام طرا يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا يرضى بما احلولى وما امرا
وينثني عنكم ينث البرا

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب



وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذى
احلنى ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لى ان لا تتخذونى
كلا ولا تجشموا لاجلى اكلا فرب اكلة هاضت الاكل
وحرمته ماكل وشر الاضياف من سام التكلف واذى
المضيف خصوصا اذى يعلق بالاجسام ويفضى الى الاسقام
وما قيل فى المثل الذى سار سائره خير العشا سوافره الا ليعجل
التعشى ويجتنب اكل الليل الذى يعشى اللهم الا ان تقد نار الجوع
وتحول دون الهجوع قال الحارث بن همام فكانه اطلع على ارادتنا
فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا
على خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج واذكى بيننا
السراج تاملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبى ليهنكم الضيف الوارد
بل المغنم البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر
او استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم
وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا الدعة التى كانوا نووها
وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وابو زيد مكب على اعمال يديه

حتى اذا استرفع ما لديه قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك
او عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون
ولا رواه الراوون وان من اعجبها ما عاينته الليلة
قبيل انتيابكم ومصيرى الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه
فى مسرح مسراه فقال ان مرامى الغربة لفظتنى الى هذه التربة
وانا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد ام موسى فنهضت حين سجى
الدجى على ما بى من الوجى لارتاد مضيفا او اقتاد رغيفا فساقنى
حادى السغب والقضا المكنى ابا العجب الى ان وقفت على باب دار
وقلت

حييتم يا اهل هذا المنزل ... وعشتم فى خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل اليل
جوى الحشا على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم ماكل
ولا له فى ارضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة فى تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لى الق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

فبرز الى جوذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى
ما عندنا لطارق اذا عرى سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى طوى برى اعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حليف
فقر لكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي
فيد ووردت هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس فقلت له
زدني ايضاحا عشت ونعشت فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها
انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان
فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا
وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع ام اودع اللحد البلقع فقال ابو زيد
فعلمت بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف صفر يدي
ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم
يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب
فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق
فما سير مثلها في الآفاق فاحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية

على ما سردها ثم استطلعناه عن مرآه في استضمام فتاه فقال
اذا ثقل ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب
من المال الفناه لك في الحال قال وكيف لا يقنعني نصاب
وهل يحتقر قدره الا مصاب قال الراوي فالتزم منه كل
منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد
في الثناء الوسع حتى انا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انه
نشر من وشي السمر ما ازرى بالحبر الى ان اظل التنوير وجشر الصبح المنير
فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها
الى ان انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال
انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الحوالات فقد استطارت
صدوع كبدي من الحنين الى ولدي فوصلت جناحه حتى
سنيت نجاحه فحين احرز العين في صرته برقت اسارير مسرته وقال لي
جزيت خيرا عن خطى قدميك والله خليفتي عليك فقلت اريد
ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب وانافثه لكي يجيب فنظر الي نظر الخادع
الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت عيناه بالدموع شعر

يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة وتسمى الخيفا

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب هذا الزمان المتمكن

من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان في المجلس كهل جالس في الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم ونشروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري النبال وربيض يبغي النضال فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام وأفرطتم في الميل إلى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أتنسون يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد وإني لأعرف



من اذا التقى وشى واذا اختبر ختر واذا ادجر اجر وان انتهب

ذهب ومتى اخترع خرع وان بدء شدء فقال له ناظور الديوان

دع عن اولئك الاغيار من ذارع هذه الصفاة وقريع هذه

الصفات فقال انه قرن مجالك وقرن جدالك واذا شئت

فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا ان النعات

بارضنا لا يستنسر والتمييز عند نابين الفضة والقضة متيسر

وقل من استهدف للنضال فتخلص من الداء العضال او استثار

نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح

ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم

قدحه وسيسفر الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به

قليبه ويخبر فيه تقليبه فقال احدهم ذروه في حصتي لارميه

بحجر قصتي فانها عضلة العقد ومحك المنتقد فقالوا وما هذا

الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نعامة فاقبل على الكهل

وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي وارفع حالي بالبيان الحالي

وكنت استعين على تقويم اودي في بلدي بسعة ذات يدي مع



فلما ان تقلص جادي ونفد زادي اممته من ارجائي بدعوته

لاعادة رواي وازديادي فعنّ لي افادته وراح وعاد بالافادة وراح

فلما استاذنته في المراح الى المراح على كاهل المراح قال

قد ازمعت ان لا ازود لك بتاتا ولا اجمع لك شتاتا او تنشئ امام ارتحالك

رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط

وحروف الاخرى لم تعجم قط وقد استانيت بالي حولا فما احار

قولا ونبهت فكري سنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب

فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فات بايه

ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت اسكوبا

واعطيت القوس باريها وانزلت الدار بانيها فوكر ريثما استجم

قريحته واستدر لقحته وقال له الق الدواة واتخذ الاداة واكتب

الرسالة الخيفاء

الكرم ثبت الله جيش سعودك

يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع يثيب

والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي

والمحك يقذي والعطا ينجي والمطال يشجي والدعا يقي والمدح ينقي

والحر يجزي والالطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة
بني الامال تبغي وما ضن الا غبين ولا غبن الا ضنين ولا خزن
الا شقي ولا قبض راحة تقي وما فتئ وعدك يفي واراؤك تشفي
وهلالك يضي وحلمك يغضي والاؤك تغني واعداؤك تثني وحامل
يفني وسؤدد ذكرك ينمي ومواصلك يجتني ومادحك يقتني وسماحك يعدي
ويسمو لك الغيث ودر ذلك يفيض ودرك يغيض ومؤملك شيخ حكاه في ولم يبق
له شي امك بظن جرضه يثب ومدح بنخب مهورها تجب
ومرامه تخف واواصره تشف واطراده يجتذب وملامه
تجتنب ووراءه ضفف مسهم شظف وحصهم جنف وعمهم قشف
وهو في دمع يجيب ووله يذيب وهم تضيف ولمد ينف لمأمول
خيب وامال آيب وعدو تب وهدو تغيب ولم يزغ وده
فيغضب ولا خبث عوده فيقضب ولا نغل صدره فينفض
ولا نشز وصله فينغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فيبض
امله بتخفيف المه بت حمد لبن عالمه بغيث لاماطه شجب
واعطاء نشب ومداواة شجن ومراعاة يفن موصولا تحفض

وسرور غض ما عشي معهد غني او حيي وهمى غني والسلام
فلما فرغ من املاء رسالته وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته
ارضته الجماعة قولا وفعلا واوسعته حفاوة وطولا ثم سئل
من اي الشعوب نجاره وفي اي الشعاب وجاره فقال

غسان اسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس اشراقا ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة
اختال في برد الشباب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزمان ولا حوادثه الملمة
فلو ان كربا متلف لتلفت من كربي المقيمة
او يفتدى عيش مضى لفدته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة
تقتاده برة الصغار الى الهضيمة والعظيمة

وترى السامع من شومهما أيدي الضباع المستضيمه

والذيب للايتام لولا شومها لم تنبت شيمه

ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم انه حمل الى الوالي فملأ فاه باللآلي وسامه ان ينضوي

الى جناحه ويلي ديوان انشائه فاحسبه الحبا وظلفه

عن الولاية الاباء قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته

قبل ايناع ثمرته وكدت انبه على علو قدره قبل استنارة بدره

فاومى الي بايماض جفنه ان لا اجرد عضبه من جفنه فلما

خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق

الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فاعرض متبسما وانشد

مترنما

لجوب البلاد مع المتربه احب الي من المرتبه

لان الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ولا تات امرا اذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه وادركه الروع لما انتبه

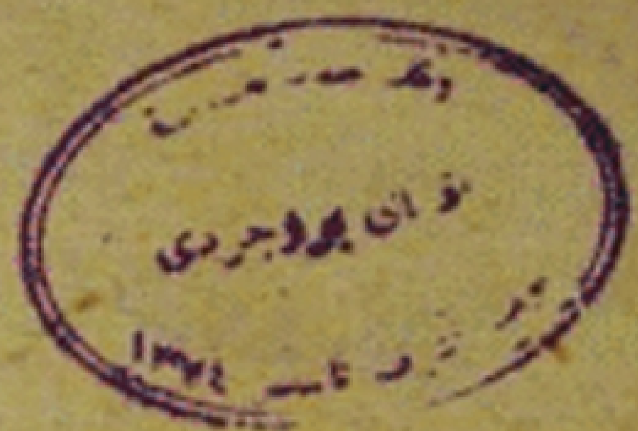
المقامة السابعة وتسمى البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد
وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة
او اشهد بها يوم الزينة فلما اظل العيد بفرضه ونفله
واجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت
مع من برز للتعييد وحين التام جمع المصلى وانتظم واخذ الزحام
بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه
المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت
وحيا تحية خافت فلما فرغ من دعائه اجال خمسة في وعائه
فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ
فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون فمن آنست ندى
يديه القت ورقة منهن لديه فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال وممنوا بمحتال ومغتال ومختال

وخوان من الاخوان قال لي لاقلالي واعمال من العمال في تضليل آمالي

فكم اصلى باذلال وامحال وترحال وكم اخطر في بال ولا اخطر في بال



فليت الدهر لما جار أطفالي أطفالي فلولا أن أشبالي أغلالي وأعلالي

لما جرت آمالي إلى آل ولا آل ولا جررت أذيالي على مسحب إذلال

فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي فهل حر يرى تخفيف أثقالي بمثقال

ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال قال الحارث بن همام فلما استبرزت

حلية الأبيات تقت إلى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن

الوصلة إليه العجوز وأفتاني بأن حلوان المعرّف يجوز فرصدتها

وهي تستقري الصفوف صفًّا صفًّا وتستوكف الأكف كفًّا كفًّا وما

أنجح لها عناء ولا رشح على يدها إناء فلما أكدى استعطافها

وكدّها مطافها عاذت بالاسترجاع ومالت إلى ارتجاع الرقاع

فأنساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج إلى بقعتي وآبت إلى الشيخ

باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال إنا لله وأفوض أمري

إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم أنشد

لم يبق صاف ولا مصاف ولا معين ولا مُعين وفي المساوي بدا التساوي فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها مني النفس وعديها واجمعي الرقاع وعدّيها فقالت لقد

عددتها لما انتعشتها فوجدت يد الضياع قد غالت إحدى الرقاع

فقال تعسًا لك يا لكاع أنحرم ونجرم القنص والحبالة والقبس

والذبالة إنها لضغث على إبالة فانصاعت تقتص مدرجها

منشدة مدرجها فلما دانت مني قرنت بالرقعة درهمًا وقطعة وقلت لها

إن رغبت في الموسوم المعلم وأشرت إلى الدرهم فبوحي بالسر المبهم

وإن أبيت أن تشرحي فخذي القطعة واسرحي فمالت إلى استخلاص

البدر التم والخرنج الأهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك

فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت

إن الشيخ من أهل سروج وهو الذي وشّى الشعر المنسوج ثم خطفت

الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي

بأن أبا زيد هو المشار إليه وثارت لوعتي لمصابه بناظريه وآثرت

أن أفاجئه وأناجيه لأعجم عود فراستي فيه وما كنت لأصل إليه

إلا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع وعفت أن يتأذى

بي قوم أو يسري إلي لوم فسدكت بمكاني وجعلت شخصه

قيد عياني إلى أن تقضى الخطبة وحقت الوثبة فتخففت إليه

وتوسمته على التحام جفنيه فإذا المعنى بمن عيّنته فراستي

فراسة اياس فعرفته حينئذ بشخصي وآثرته باجادة قمصي واهبت به
الى قرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى دعوة زعفراني وانطلق
ويدي زمامه وظلي امامه والعجوز ثالثة الاثافي والرقيب
الذي لا يخفى عليه خافي فلما استجلس وكني واحضرته عجالة
مكنتي قال يا حارث امعنا ثالث قلت ليس الا العجوز فقال وما
دون عجوز من مستور ثم فتح كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه فاذا سراجا وجهه
يتقدان كانهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب
سيره ولم يلبثني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك
الى التعامي مع سيرك في المعامي وجوبك الموامي وايغالك في المرامي
فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى اذا قضى وطره اتاح لي
نظره وقال ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل اني اخو عمى ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده
ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف
وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة
وليكن نظيف الظرف ارج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه

اللامس ذرورًا وخاله الناشق كافورًا الى الاكل لها حالة
الضب صقال الغضب وآلة الجرب ولدونة الغصن الرطب
قال فنهضت فيما امر لادرأ عنه الغمر ولم اهم الى انه قصد ان يخدع
باذخالي المخدع ولا تظنيت انه تحرى من الرسول في استدعاء الخلال
والغسول فلما عدت بالملتمس في اقرب من رجع النفس وجدت
الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكره
غضبا واوغلت في اثره طلبا فكان كمن قمس في الماء او عرج به
الى عنان السماء

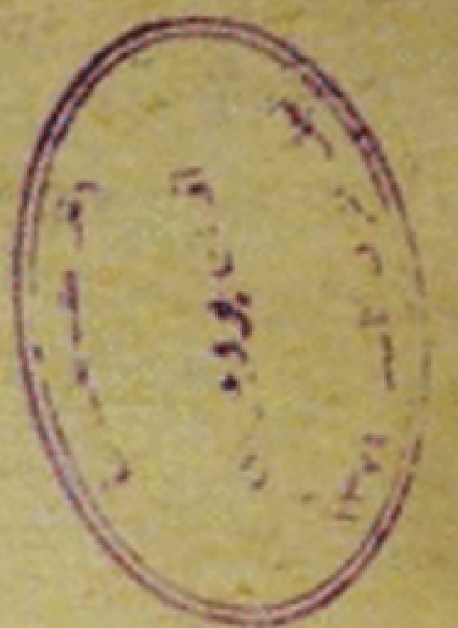
المقامة الثامنة

اخبر الحارث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان ان تقدم
خصمان الى قاضي معرة النعمان احدهما قد ذهب والآخر كانه
قضيب البان فقال الشيخ ايد الله القاضي كما ايد به المتقاضي
انه كانت لي مملوكة رشيقة القد اسيلة الخد صبور على الكد
تخب احيانا كالنهد وترقد اطوارا في المهد وتجد في تموز
مس البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف ببنان
وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد
وبياض

وتسقي ولكن من غير حياض ناضحة خدعة خباة طلعة
مطبوعة على المنفعة مطواعة في الضيق والسعة اذا اوقعت
وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما اخدمتك فجملت
وربما جنت عليك فالمت وملمت وان هذا الفتى استخدمنيها
لغرض فاخدمته اياها بلا عوض على ان يجتني نفعها ولا يكلفها
الا وسعها فاولج فيها متاعه واطال بها استمتاعه ثم اعادها
وقد افضاها وبذل عنها قيمة لا ارضاها فقال الحدث
اما الشيخ فاصدق من القطا افرط عن خطا وقد رهنته على
ارش ما اوهنته مملوكا لي متناسب الطرفين منتسبا الى القين
نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد العين يفشي الاحسان
وينشي الاستحسان ويغذي الانسان ويحامي اللسان ان سود جاد
او وسم اجاد واذا زود وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر
بمغنى وقلما يلج الا مثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد
مع قرينته وان لم يكن من طينته ويستمتع بزينته وان لم يطمع في
لينته فقال لهما القاضي اما ان تبينا والا فبينا فابتدر الغلام

وقال

اعارني ابرة لارفو اطمارا عفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطا مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ ان يسامحني بارشها اذ راى تاودها
بل قال هات ابرة تماثلها او قيمة بعد ان تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها سبة تزودها
فالعين مني لرهنه ويدي تقصر عن ان تفك مزودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعودها
فاقبل القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال الشيخ
اقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الايام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت ابتغي بدلا من ابرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني مصميات من هاهنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرا وبوسا وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فانا نظيره في الشقا وهو انا
لا هو يستطيع فك مرهنه ولا انا لما غدا في يدي مرتهنا



ولا يجاري لي الصيد ذات زي فيه اتساع للعفو عن جنا
فهذه قصتي وقصته فانظر لما بيننا وبيننا ولنا
فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وخصاصهما
ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه
فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث
وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرتي وسهمك لي عن ارش ارتي
ولست عن الحق اميل فقم وخذ المنديل فعرا الحدث لما حدث
اكتئاب وجم له القاضي وهيج اسفه على الدينار الماضي
الا انه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما
اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات
فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين بوفده مفصحين
والقاضي ما تخبو ضجرته ولا ينصل كمده مذ بسخ جلده
حتى اذا افاق عن غشيته اقبل على حاشيته وقال قد اشرب
حسي ونبأني حدسي انهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء فكيف
السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته

وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما فقفاهما عونا
يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سن بكركما
ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم الحدث واستعفى
واقدم الشيخ وقال اسمع

انا السروجي وهذا ولدي والشبل في المخبر مثل الاسد
وما تعدت يده ولا يدي في ابرة يوما ولا في مزود
وانما الدهر المسيء المعتدي مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد بالجد ان اجدى والا بالدد
نحتلب الرزق الى حظ الصدى وننفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ان لم نفاجا اليوم فاجا في غد

فقال لهما القاضي لله دركما فما اعذب نفثات فيكما لولا
خداع فيك واني لكما لمن المنذرين وعليكما من الحذرين فلا تحاكما
بعدها الحاكمين واتقيا سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل
ولا كل اوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته

والحر يراع من لبس صوته ويفصل عن جهته والحر يلمع من جبهته
قال الحارث بن همام فلم ار اعجب منها في تصاريف الاسفار ولا قرأت
مثلها في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة

حدث الحارث بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب
الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجني الثمار
واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه
العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب اذا دخل البلد الغريب
ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام
ويامن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما
وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت
بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الاجساد
بالارواح فبينما انا عند حاكم الاسكندرية في عشية
عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات
اذ دخل شيخ عفرية تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله القاضي
وادام به التراضي اني امراة من اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف

خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون
وبيني وبين جاراتي بون وكان ابي اذا خطبني بناة المجد وارباب
الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلاتهم واحتج بانه
عاهد الله بحلفة ان لا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر
لنصبي ووصبي ان حضر هذا الخدعة نادي ابي فاقسم بين رهطه
انه وفق شرطه وادعى انه طالما نظم درة الى درة فباعهما ببدرة
فاغتر ابي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني
من كناسي ورحلني عن اناسي ونقلني الى كسره وحصلني تحت اسره
وجدته قعدة جثمة والفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش
وزي واثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم
والقضم الى ان مزق ما لي باسره وانفق مالي في عسره فلما انساني طعم الراحة
وغادر بيتي انقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبا بعد بؤس ولا عطر
بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجنني ثمرة براعتك فزعم
ان صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الارض من الفساد ولي منه
سلالة كانها خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقا له

من الطوى دمعه وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود
دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له
قد وعيت قصص عرسك فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك
وأمرت بحبسك فأطرق إطراق الأفعوان ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب

القول

فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب فيهم إل ولا نسب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المليم إلى سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي سبد ولا بتات عليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت كاهلي بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه وأضطرب
فجلتها والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهمها أن رتاجي بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب

ما المكثر بالمحصنات من خلقي ولا استعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت نيط بها الا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار الى ما كنت اجري بها واحتلب
فاذن لزوجي كما اذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده واكمل انشاده عطف القاضي الى الفتاة بعد ان شغف بالابيات وقال اما انه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل الكرام وميل الايام الى اللئام واني لاخال بعلك صدوقا في الكلام بريئا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين انه معروق العظم واعنات المعذر ملامة وحبس المعسر ماثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري ابا عذرك ونهنهي عن غربك وسلمي لقضاء ربك ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده

فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار ونزوة الموسر بعد الاعسار قال الراوي وكنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزوير لسانه فلا يرى عند عرفانه ان يؤهله لاحسانه فاحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب الا اني قلت بعد ما فصل ووصل الى ما وصل لو ارسلنا من يطلع في اثره لاتانا بنقض خبره وما ينشر من حبره فاتبعه القاضي احد امنائه وامره بالتجسس عن انبائه فما لبث ان رجع متدهدها وقهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشا طربا فقال له ماذا رايت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول كدت اصلى بلية من وقاحة شمرته وازور الحبس لولا حاكم الاسكندرية فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الامين علي به فانطلق

مجداً في طلبه ثم عاد بعد لأيٍ مخبراً بنأيه فقال القاضي أما إنه
لو حضر لكُفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة
خير له من الأولى قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو القاضي
إليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان
النوار والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة وتسمى الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن طوق
فلبيته ممتطياً شملة ومنتضياً عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسي
وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد سبت راسي رأيت غلاماً أفرغ
في قالب الجمال ملتبساً من الحسن بحلة الكمال وقد اعتلق شيخ
بردنه يدعي أنه فتك بابنه والغلام ينكر عرفانه ويكبر بهتانه
والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما جمّ من الأخيار
والأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر إلى والي البلد
وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فابرعا
إلى ندوته كالسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه

واستعدى على عداه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته
وطرّ عقله بتصفيف طرته فقال إنها أفيكة أفاك وعضيهة
محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان
من المسلمين وإلا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ إنه جدله خالياً
وأفاح دمه خالياً فأنى لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن
ولني تلقينه اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك
لذلك مع وجدك المستهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام
قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج
والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والأنوف بالشمم والخدود باللهب
والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف إنني ما قتلت ابنك
ولا عمداً ولا جعلت هامته لسيفي غمداً وإلا فرمى الله جفني بالعمش
وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعي بالبلح ووردي بالبهار ومسكي
بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالإظلام
ودواتي بالأقلام فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الإيلاء
بهذه الألية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد



وابى الشيخ الا تجريعه اليمين التى اخترعها وانبرى له جرعها

ولم تزل الملاحاة بينهما تستعر ومحجة التراضي تعتور والغلام

في ضمن تأبيه يخلب الوالي بملاحته ويطمعه في ان يلبيه الى ان زاد

هواه على قلبه واستبد فسول له الوجد الذي تيمه والطمع

الذي توهمه ان يخلص الغلام ويستخلصه وان ينقذه من حبالة

الشيخ ثم يقتنصه فقال للشيخ هل لك فيما هو اليق بالاحوط واقرب

الى التقوى فقال لا ام لك لم ارضه ولا اقفه قال ارى ان

تقصر عن القيل والقال وتقتصر على مائة مثقال لاتحمل منها

بعضا واخبي لك الباقي غرضا فقال الشيخ ما مني خلاف فلا يكن

لوعدك اخلاف فنقده الوالي عشرين ووزع على ورعيته تكملة خمسين

ورنق تون الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج

ودع عنك اللجاج وعلي في غد ان اتوصل الى ان ينض لك الباقي

وبتحمل فقال الشيخ اقبل منك على ان الازمه ليلتي وان يرعاه انسان

مقلتي حتى اذا اغفى بعد اسفار الصبح بما بقي من مال الصلح خلصت

قائمة من قوبه وبرى براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي

ما اراك تبت قطا ولا رمت فرطا فقال الحارث بن همام فلما رايت

حجج الشيخ كالحجج السرخسية علمت انه علم السروجية فلبثت الى ان زهرت

نجوم الظلام وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فاذا

الشيخ للغلام كالي فنشدته الله اهو ابو زيد فقال اي ومحل الصيد

فقلت له من هذا الغلام الذي هفت له الاحلام قال هو في النسب

فرخي وفي المكتسب فخي فقلت هلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي

الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما قنصت الخمسين

ثم قال لو بت الليلة عندي لنطفي نار الجوى ونديل الهوى من النوى

فقد ازمعت على ان انسل بسحرة واصلي قلب الوالي نار حسرة قال فقضيت

الليلة معه في سمر آنق من حديقة زهر وخميلة نهر الى ان الح

ذنب السرحان وآن انبلاج الصبح وحان فركب متن الطريق واذاق

الوالي عذاب الحريق وسلم الي ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق

وقال ادفعها الى الوالي اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها

فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب شعر

قل لوال غادرته بعد بيني سادما نادما يعض اليدين

يسلب الشيخ ماله وفاه الله فاصطلى لظى حين
جاد باليمين حين أغوى هواه عينه فانثنى بلا عينين
ولئن حل ما عراك كما حل لدى المسلمين ذا الحسنين
خفض الحزن يا بني فما تجدي طلاب الآثار من بعد عين
فلقد عضت منه فهما وحزما واللبيب الأريب يسعى لذين
فاغض من بعدها المطامع واعلم أن صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان مجرئا بالتحين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين
قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبل أعذل أم عذر

المقامة الحادية عشرة

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما حرت

اللهم احفظني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعددي وعُددي وسكني ومسكني وحالي ومآلي ومالي ومآلي ولا تبلني بتغيير ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهة غير واهية واكفني مخاوف اللأواء واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية ثم أقنع رأسه وصعد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عن لبس الخوذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب إلى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال فتلقفناها حتى أتقناها

وتدارسناها لكي لا ننساها ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات
لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا
بالعشي والغداة لا يستنجز منا العدات حتى إذا عاينا أطلال
عانة قال لنا الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم
وأريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما أنت قاض فلم نجد
فينا غير راض فما استخفه سوى الخف ولا حلي بعينه غير العين
فاحتمل منهما وقره وولانا بسد فقره ثم خالسنا مخالسة الطرار
وانسل منا انسلال الفرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امّحاقه
ولم نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغدو وهاد إلى أن قيل إنه
مذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول بسبكه والانسلاك
فيما لست من سلكه فادلجت إلى الدسكرة في هيئة منكرة فإذا الشيخ
في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس
وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق
العيدان ودفعة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت
على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أنسيت

يوم جيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرج
وخضت السيول وروضت الخيول لجر ذيول الصبا والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى شرب راح لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهاء الرفاق لأرض العراق بحملي السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط ستور الحياء واطرح
وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك فزند أساك به قد قدح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح
وخص الغبوق بساق يسوق بلا المتوق إذا ما طلح
وشاد يشيد بصوت يميد جبال الحديد له إن صدح

وعاصِ النصيحَ الذي لا يُبيح · وصالَ المليح إذا ما سمح
وجُلْ في المجال ولو بالمحال · ودع ما يقال وخذ ما صلح
وفارق أباك إذا ما أباك · ومُدَّ الشباك وصِدْ من سنح
وصافِ الخليل ونافِ البخيل · وأولِ الجميل ووالِ المنح
ولُذْ بالمتاب أمام الذهاب · فمن دقّ باب كريمٍ فتح

فقلت له بخٍ بخٍ لروايتك وأفٍّ وتفٍّ لغوايتك فبالله من أي الأعشاب عنصرك فقد أعضلني عويصك فقال ما أحب أن أفصح عني ولكني أكني

أنا أطروفة الزمان وأعجوبة الأمم · وأنا الحُوَّلُ الذي احتال في العرب والعجم
غير أني ابن حاجةٍ هاضه الدهر واهتضم · وأبو صبيةٍ بدوا مثل لحمٍ على وضم
وأخو العيلة المعيل إذا احتال لم يُلَم

قال الراوي فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسوّد وجه الشيب وعضلة العضل وأن خضابه من حبائل الحيل وسانح عظم مَرَده وقبح تودده فقلت له بلسان الأنفة وإدلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنا فتنحّر وزمجر وتنكّر وفكّر ثم قال إنها ليلة مراحٍ لا ملاحٍ ونهزة شُرب راحٍ لا كفاحٍ فعُد عمّا بدا إلى أن نلتقي غدا فافترقنا وفارقته فَرَقًا

من عزبته لا تبعلقا بعده وبت ليلتي لابسًا جلباب الندم على نقل خطى القدم إلى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا أحضر بعدها حانة نبّاذ ولو أعطيت ملك بغداذ ولا أشاهد معصرة الشراب ولو رُددت على غضّ الشباب ثم إنا رحلنا العيس وقت التغليس وخلّينا بين الشيخ أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشرة

حدث الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبارٍ بغبار ولا يجري معهم ممارٍ في مضمار فأفضينا في حديثٍ يفضح الأزهار إلى أن نصفنا النهار فلما غاض درّ الأفكار وصبت النفوس إلى الأوكار لمحنا عجوزًا تقبل من البعد وتحضر إحضار الجرد وقد استتلت صبيةً أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذّبت إذ رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيّا الله المعارف وإن لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل أني من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلّون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون

اليد فلما أردى الدهر الأعضاد وفجع بالجوارح والأكباد وانقلب ظهرا
لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة
وصلد الزند ووهت اليمين وبان المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب
فمذ اغبر العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومي الأبيض
وابيض فودي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق فحبذا الموت
الأحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية
أحدهم بردة وقصارى منيته بردة وكنت آليت أن لا أبذل
الحر إلا للحر ولو أنني مت من الضر وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم
المعونة وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ
أبر قسمي وصدق توسمي ونظر إلي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود
قال الراوي فهمنا لبراعة عبارته وملح استعارته وقلنا له قد فتنت
كلامك فكيف إلحامك فقال تفجر الصخر ولا فخر فقلنا إن جعلتنا
من رواتك لم نبخل بمواساتك فقال لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم
أشعاري فأبرز ردن درع دريس وبرز برزة عجوز دردبيس
وأنشأت تقول

شعر

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم تخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤسا له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه من دنس اللوم نقي رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض

ثم الذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سود وبيض
لأنهم لم تعد الصفحة ولا تصدت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب
واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتناع وارتاح
لرفدها من لم يخله يرتاح فلما انتزع جنتها تبرا واولاها كل منها شكرا
تولت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها
إلى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونضت
أفواق العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام محتبسة بالزحام
فانغمست في الغمار وأملست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال إلى مسجد
خال فنضت الجلباب وأماطت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب
وأرتقب ما سيبدو من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد
قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى إليه فاسلنقى استلقاء
المتمرد ثم رفع عقيرة المغرد واندفع ينشد شعر

يا ليت شعري أدهري أحاط علما بقدري وهل درى كنه غوري في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري وكم برزت بعرف عليهم وبنكر
أصطاد قوما بوعظ وآخرين بشعر وأستفز بخل عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر وتارة أخت صخر ولو سلكت سبيلا مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي وطال عسري وخسري فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري

قال فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره علمت أن شيطانه
المريد لا يصنع إلا ما يريد وأن لا يفيد له التفنيد فثنيت إلى أصحابي
عناني وأنبأتهم بما أتاه عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا
على مجرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة

حدث الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام
فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف
موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حر الظهيرة
فبينما أنا بخيمة طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى
الهجير عين الحرباء هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم
تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا ما أسر
من نطقه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف
ولجت وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب إسعاف وحضري

غير خاف والنظر إليّ شفيع كاف وأما الإنسان الذي
علق به الارتياب فما هو بمجاب إذ ما على الكريم من حجاب
فسألناه أنّى اهتدى إلينا ثم استدل علينا فقال إن للكريم
نشرا ينم بمجاجة وترشد إلى روضه فوحاته فأسند للنسارج
عرفكم على بلج غرركم وبشرني بضوع رندكم بحسن المنقلب
من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنكفل بإعانته
فقال إن لي مأربا ولفتاي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى
وكلاكما سوف يرضى ولكن الأكبر أكبر فقال أجل ومن دحا
السبع الغبر ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال وأنشد
إني امرؤ أبدع بي بعد الوجى والتعب وشقة شاسعة تقصر عنها خببي
وما معي خردلة مطبوعة من ذهب فحيلتي منبتة وحيرتي تلعب بي
إن رحلت راجلا خفت دواعي العطب وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فرقتي في صعد وعبرتي في صبب وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب وجاركم في حرم ودونكم في حرب
ما إن ربا عرفكم خاب بالترب ولا استدر آمل حباكم فما خبي

فانبعثوا إلى قصي واحبوا منقلبي فلو بلوتم عيشتي في ظعني ومربعي
لساءكم ضري الذي أسلمني للكرب ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب لما اعترتكم شبهة في أن داءكم أدبي
لولا أنني لم أكن أرضعت ثدي الأدب فقد دهاني شومه وعقني فيه أبي
فقلنا له أما أنت فقد شرحت أبياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسنطل
ما يوصلك إلى بلدك فما مأربة ولدك فقال له قم يا بني كما قام أبوك
وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض الفتى نهوض البطل للبراز وأصلت
لسانا كالعضب الجراز وأنشأ يقول شعر
يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده ومن إذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده أريد منكم شواء وجردقا وعصيده
فإن غلا فرقاق به نوادي الشهيده أو لم يكن ذا ولا ذا فقعة من ثريده
وإن تعذر طرا فنجوة ومعسيده فأحضروا ما تيسر ولو شطا من قديده
وروحوه فنفسي لما يروج مريده والزاد لا بد منه لرحلتي البعيده
وأنتم خير رهط تذعون عند الشديده أياديكم كل يوم لها أياد جديده
وراجكم واصلات ثمل الصلات المفيده وبغيتي في مطاوي ما ترفدون زهيده

وبي أمر وعندي نفس كريم حنيه دون نتائج فكر يفتخر كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل شبيه الأسد أرجلنا

الوالد والولد فقابلا الصنيع بشكر نشر أرديته وأذاب

دينه فلما عزما على الانطلاق وعقد للرحلة حبل النطاق

قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أو بقيت حاجة في نفس

يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم وجلى فقلت له قد دنا كما دنا لك

وإذ قد ناكبنا أفذ ناك ابن الدويرة فقد ملكنا فيك الحيرة فنفس

نفس من ذكر أوطانه وأشهيق بلغتم لسانه شعر

يبرح دايري ولكن كيف السبيل إليها وقد أناخ الأعادي بها ولخوا عليها

فوالذي سرت أبغي حط الذنوب لديها ما لا تطرقت شيئا مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره أن يستوكفهما

ولم يملك أن يكفكفهما فقطع إنشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولى

المقامة الخامسة عشرة

حكى الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب

هامية الرباب ولا أرق صب طريد عن الباب ومني بصد الأحباب

فلم تزل الأفكار يحضرن همي ويخلن في الوسواس كمي حتى تمنيت

لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول الليلة الليلاء

فما انقضت منيتي ولا أغمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع

فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت إليه عجلان

وقلت من الطارق الآن فقال غريب جنه الليل وغشيه السيل

ويبتغي الإيواء لا غير وإذا أسحر سار قال فلما دل شعاعه

على شمسه وعنوانه على سر طرسه علمت أن مسامرته غنم ومساهرته نعم

ففتحت الباب بتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حني

الدهر صعدته وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب

ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فأدنيته

من المصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا

أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فأحللته محل من أظفر بتقوى الطلب

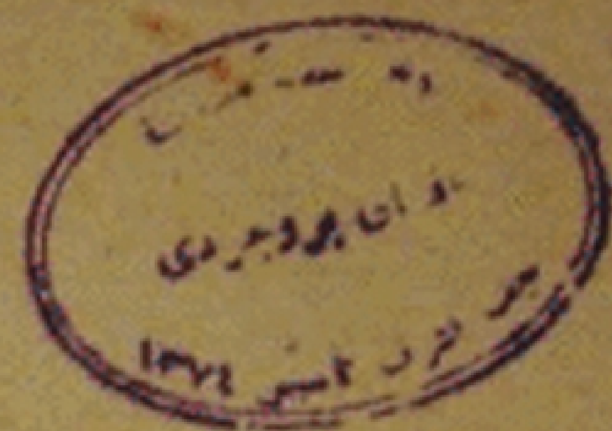
وتقلني من قذا الكرب إلى روح الطرب ثم أخذت كما أخذ

وأخذت في كيف وأين فقال إليّ بعيني ريقي فقد أتعبني طريقي فظننته منتظرا

للسغب متكاسلا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر الضيف المفاجي

في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم واعرض اعراض المتشم
فبت طيا بامتناعه واحفظني حول طباعه حتى كدت اغلظ له
في الكلام والسعه بجهة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خامر
خاطري فقال يا ضعيف الثقة باهل المقة عم اخطرته ببالك
واستمع الي لا ابا لك فقلت هات يا ابا الرهاب فقال اني بت
البارحة حليف افلاس وبحي وسواس فلما قضى الليل نحبه وعوّد
الصبح شهبه غدوت عند الاشراق الى بعض الاسواق متصديا
لصيد يسنح او حر ينتح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه واحسن اليه
تصنيفه يجمع على التحقيق صفا الرحيق وقنوء العقيق وقبالته
لبو قد برز كالابريز الاصفر والحلي في اللون المزعفر وهو يثني
على طاهيه بلسان تباهيه ويصوب راي متسنيه ولو نقد حبة القلب
فيه فابرز بي الشهوة باشطانها واسلمتني العيمة الى سلطانها
فبقيت احير من ضب واذهل من صب لا وجد يوصلني الى نيل المراد
ولا لذة الازدياد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب
لكن حبذا لي القرم وسورته والسغب وفورته على ان انتجع كل ارض

واقتنع من الورد بترنيق فلم ازل سحابة ذلك النهار ادلي دلوي
الى الانهار دون ان ترجع بلة ولا اجتلب نقع غلة الى ان صغت
الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فخرجت بكبد حرى وانثنيت
أقدم رجلا واؤخر اخرى فبينما انا اسعى واقعد واهبط واصعد
اذ قابلني شيخ بتأوه الثكلان وعيناه تهملان فما شغلني ما انا
فيه من الذنب والحرى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخالته
فقلت له يا هذا ان لبكائك لسرا ووراء حرقتك لشرا فاطلعني على حالك
واتخذني من نصحائك فانك ستجدني طبا آسيا او عونا مواسيا فقال
والله ما تأوهي لعيش فات ولا لمن ذهب فات بل لانقراض العلم ودروسه
وأفول اقماره وشموسه فقلت اي حادثة نجمت ونضرة استغفت حتى
هاجت لك الاسف على فقد من سلف فابرز رقعة من كمه واقسم
بابيه وامه لقد انزلها باعلام المدارس فما امتازوا عن الاعلام
الدوارس واستنطق لها احبار المحابر فخرسوا ولا خرس سكان
المقابر فقلت ارنيها فلعلي اغني فيها فقال ما ابعدك في المرام فرب
رمية من غير رام ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها



ايها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه

افتنا في قضية حار فيها كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن اخ مسلم حر تقي من امه وابيه

وله زوجة لها ايها الحبر اخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز اخوها ما تبقى بالارث دون اخيه

فاشفنا بالجواب عما سالنا فهو نص لا خلف يوجد فيه

قال فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت

وعند ابن بجدتها حططت الا اني مضطرم الاحشا مضطر الى العشا

فاكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد انصفت في الاشتراط

وتجافيت عن الاشتطاط فهلم معي الى من يلطف بما ينبغي وتتقلب كما تبغي

قال فصاحبته الى داره كما حكم فادخلني بيتا احرج من التابوت

واوهن من بيت العنكبوت الا انه حجة ضيق ربعه بسعة ذرعه

فكتب في القرى ومطائب ما يشتري فقلت اريد ازهى راكب على

اشهى مركوب وانفع صاحب مع اصحر مصحوب فتفكر ساعة طويلة

ثم قال لعلك تعني نبت نخيلة مع لبا نخيلة فقلت اياها عنيت ورحلها

تعنت فيه من تنشط ثم ندعو مستقطا وقال اعلم اصلحك الله

ان الصدق نباهة والكذب عاهة ولا يحملنك الجوع الذي

هو شعار الانبيا وحلية الاوليا على ان تتحرى مرارة تخلق بالخلق الذي

تجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها وتابى الدنية

وان اضطرت الى البهائم اني لست كمن يمون ولا اغضي على صفقة

مغبون وها انا قد انذرتك قبل ان تستكمل البسة وتبعد حسنا

الوتر فلا تلغ تذكرة الانذار وحذار من الكذب حذار فقلت

والذي حرم اكل الربوا واحل اكل اللبا ما فهمت يا مؤدب ولا

دلست بغرور وسيتجلى حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر

فسر حينئذ هشاشة المصدوق وانطلق مغذا الى السوق فما كان

باسرع من ان اقبل يتمايل وحمل ... فوضعهما الذي وضع

الممتن علي قال اضرب الحسن بالحسن نحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد

النهم وحملت حملة الفيل المغتلم وهو يلحظني كما يلحظ الحقود ويذم

الغيظ لو اختنق حتى اذا اهلكت النوعين وغادرتهما اثرا بعد عين

اردت ترجمة في اظلال البنات وذكرة في جواب الابيات



واحضر الدواة والاقلام وقال قد ملأت الجراب فامل الجواب
والا فتهيأ ان تكف من الاغرام ما اشكلت فقلت له ما عندي
الا التحقيق فاكتب وبالله التوفيق   شعر

قل لمن يلغز المسائل اني ... كاشف سرها الذي تخفيه
ان ذاك الميت الذي قدم الشرع ... اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوج ابنه عن رضاه ... بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه ... فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء ... واخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجد ... واولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزوجة ... ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل ... اخوها من امها ما بقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الارث ... وقلنا يكفيك ان تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها ... كل قاض يقضي وكل فقيه

قال الراوي فلما ابدى الجواب واستثبت منه الصواب قال لي اهلك
والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت اني بدار غربة وفي ايواي

افضل قربة لاسيما وقد اغدودف جنح الظلام وسح الرعد في الغمام
فقال اعزب عنا فاكلأ الله لي حيث بت ولا تطمع في ان تبيت فقلت
ولم ذاك مع خلو ذراك فقال لاني تبينت النظر في التقامك
ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي
حفظ صحتك ومن امعن فيما امعنت وبطن كما بطنت لم يخلص
من كظة مدنفة او هيضة متلفة فدعني بالله كفافا واخرج
وانت معافا فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت قال فلما سمعت
اليته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزودت الغم نحو دني اليما
وتخبطني الظلماء وتبحبحني الكلاب وتقاذفني الابواب
حتى ساقني اليك لطف القضاء فتشكر البرد البيضا فقلت له
بلقائك لمستاح الى قلبي المرتاح ثم اخذ يفتن في حكاياته ويسمط
مضحكاته بمبكياته الى ان عطس انف الصباح وهتف داعي الفلاح
فاهب لاجابة الداعي ثم انعطف الى وداعي نعقبته عن الانبعاث
وقلت الضيافة ثلث فناشد وحرج ثم ام المخرج وانشد اذا عرج   شعر
لا تزورن من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلا الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه
قال الراوي فودعته بقلب دامي القرح ووددت لو ان ليلتي نطيحة
الصبح

المقامة السادسة عشرة

حدث الحارث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد
المغرب فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة
قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كاس
المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت في مجاذبتهم لكلمة
تستفاد او ادب يستزاد فنهضت اليهم نهضة المتطفل عليهم وقلت
لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح
الحوار لا ملح الحوار فحلوا لي الحبا وقالوا لي مرحبا فلم
الا لمحة بارق او خطفة او نغبة طاير خايف حتى غشينا جوب
على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وتحية المسجد بالتسليمتين ثم قال
يا اولي الالباب والفضل اللباب اما تعلمون ان انفس القربات
تنفيس الكربات وامتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات
واني ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص

فسعيت اليهم سعي المتطفل

وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفرج هذه المجاعة
فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشا ولم يبق الا فضلات
العشا فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال ان اخا
الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فامر كل
عبده ان يزوده ما عنده فاعجبه الصنع وشكر عليه وجلس يرقب
ما يحمل اليه وثبنا الى استثارة ملح الادب وعيونه واستقساط
من عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس
فتداعينا الى ان نستنبط له الافكار ونفترع منه الابكار
على ان ينظم البادي ثلث جمانات في عقده ثم تزوج الزيادات
من بعده فبرع ذو ميمنة في نظمه وتسنح صاحب ميسرته على رغمه
قال الحارث بن همام وكنا وراسطنا عدة اصابع الكف وتالفنا
الفة اصحاب الكهف فابتدا بالنظم محتبي صاحب ميمنتي وقال
لم اخا مل وقال صاحب ميمنته كبر رجا اجر ربك وقال الذي يليه
من يرب اذا بر ينم وقال الاخر سكت كل من نم لك تكس وافضت النوبة
الي وقد بعثر نظم السمط السابع علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر

من

فضالات

تالف

وبشرى وتعبير وفي ضمن ذلك أستطيع. فلا أجد من يطمع إلى أن يكد
النسيم وخصص التسليم فقلت لأصحابي لو حضر السروجي هذا المقام
لشفى الداء العقام فقالوا لو أنزل هذه بإياس لأمسك منها على يأس
وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق بابها وذلك الضيف المعري
يلحظنا لحظ المزدري ويؤلف الدرر ونحن لا ندري فلما عثر على
ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم إن من العناء العظيم استيلاد العقيم
والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم ثم أقبل علي وقال
سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فإن شئت أن تنثر ولا تعثر فقل لمن
ذم البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل إذ الكرم ملكه بذل وإن
أحببت أن تنظم فقل للذي تعظم

أُسْ أرملاً إذا عرا ... وارع إذا المرء أسا
أسند أخا نباهة ... أبن إخاء دنسا
أسل جناب غاشم ... مشاغب إن جلسا
أسر إذا هب مرا ... وارم به إذا رسا
اسكن تقو فعسى ... يسعف وقت نكسا

قال الحارث بن همام فلما بهرنا بآياته وخبرنا بعد غاياته مدحناه
حتى استعفى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمر ثيابه وازدفر جرابه ونهض
ينشد لله در عصابة صدق المقال معاولة فاقوا الأنام فضائلا مأثورة وفواضلا

جاورتهم فوجدت بحبانا لديهم بإقلالنا دينهم فلونهم إذ بلوت أفاضلا
وجلت فيهم سائلاً فلقيت جوداً سائلاً أقسمت لو كان الكرام حياً لكانوا وبلا
ثم إنه خطا قيد رمح وعاد مستعيذاً من الجن وقال يا عز من عدم
الآل وكثر من بيت المال إن الغاسق قد وقب ووجه المحجة
قد انتقب وبيني وبين كنتي ليل دامس وطريق طامس فهل من مصباح
يؤمنني العثار ويبين لي الآثار فلما جيء بالملتمس وجلي الوجه صبيح العبس
رأيت صاحب صيدنا هو أبو زيدنا فقلت لأصحابي هذا الذي أشرت
إلى أنه إذا نطق أصاب وإن استمطر صاب فالعوا أجوه الأعناق
وأحدقوا به الأحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجبروا
عيلته فقال حبا لما أحببتم ونجا بركم إذ رحبتم غير أني تركت
وأطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع وإن أسرت أولى
خامرهم الطيش ولم يصف لي العيش فدعوني لأذهب فأسد خصاصتهم
وأسيغ غصتهم ثم أنقلب إليكم على الأثر ممتطياً للسمر إلى السحر
فقلنا لأحد الغلمة اتبعه إلى فئته ليكون أسرع لفيئته فانطلق
معه مضطبناً جرابه ومحتثاً إيابه وأبطأ إبطاءً حاز حده ثم عاد

وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث فقال أخذني
في طرق متشعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا إلى دويرة حرجة فقال
ههنا مناخي ووكر أفراخي ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه
وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة
هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حوى جيبي نحلة فلا تقربنها إلى قابل
وإما سقطت على بيدر فخوض من السنبل الحاصل
ولا تلتمس إذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن فيما تبتغي فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وحاذر سوف ودع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل

ثم قال أخبئها في تامورك واقتد بها في أمورك وبادر إلى صحبك في كلاءة
ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي وأتل عليهم وصيتي وقل لهم عني
إن السمر في الخرافات لمن أعظم الآفات ولست أعني اختراسي ولا الخبر
الهوّز إلى رأسي قال الراوي فلما وقفنا على نجوى شعره وعلى نكره ومكره

ندمنا على تركه وتلاومنا على الاغترار بإفكه ثم تفرقنا
بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة

حكى الحارث بن همام قال حضرت في بعض مطالع العمر ومطارح
السمر فتية عليهم سيما النهى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مماراة
مسندة الهبوب ومباراة منشطة الألهوب فحدا بي لقصدهم هوى
المحاضرة وابتغاء المناظرة فلما انتهيت إلى نظامهم وانتظمت
في سلكهم قالوا أأنت ممن يبلي في الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء
فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فأضربوا
عن محاجتي وأفاضوا في التحاجي وكان في إكليل رفقتهم ذو جبوة
خلقهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم
وأنحل من خلم الإبانة كان يبدي العجاب إذا أحار ويبين بحبان
كلما أبان فاغتنمنا أدنى من الإصابة والتبرز على تلك العصابة
وما زال يفضح كل معمي ويصمي في كل مرمى إلى أن خلت الجعاب
ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفضاض القوم واضطرارهم إلى الصوم
عرض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فقالوا له هات وما لنا بد

فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها
على منوال البز وحليت في لونين وصلت الى جهتين وبدت ذات وجهين إن بزغت
من مشرقها فناهيك برونقها وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها قال
وكان القوم رموا بالصمات حقت عليهم كلمة الإنصات
فما نبس منهم إنسان ولا فاه لهم لسان فحين رآهم بكما كالأنعام
وجثوما كالأصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم
طول المدة ثم ههنا مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت خواطركم
مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا والله ما لنا في لجة
هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد
وهنئ العطية بالنقد واتخذنا إخوانا يثبون إذا وثبت ويشبون متى
استشبت فأطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني
وانقلوا عني • الإنسان صنيعة الإحسان • ورب الجميل فعل الندب •
وشيمة الحر ذخيرة الحمد • وكسب الشكر استثمار السعادة • وعنوان
الكرم بشاشة البشر • واستعمال المداراة يوجب المصافاة • وعقد
المحبة يقتضي النصح • وصدق الحديث حلية اللسان • وفصاحة

المنطق سحر الألباب • وشرك الهوى آفة النفوس • وملل الخلائق
شين الخلائق • وسوء الطمع مانع الورع • والزام الحرامة زمام السلامة •
وطلب المثالب شر المعايب • وتتبع العثرات يدحض المودات •
وخلوص النية خلاصة العطية • وتهنئة النوال من السؤال • وتكلف
الكلف يسهل الخلف • وسقم المواعيد تشنّي المودة • وفضل الصدر
سعة الصدر • وزينة الزعماء مقت السعاة • وحرى المدائح
بذل المنائح • ومهر الوسائل تشفيع المسائل • ومخيلة الغواية استغراق العام
وتجاوز الحد يكل الجد • وتعدي الأدب يحبط القرب •
وتناسي الحقوق ينشي العقوق • وتحاشي الريب يرفع الرتب • وارتفاع
الأخطار باقتحام الأخطار • وتنوه الأقدار بمواتاة الأقدار •
وشرف الأعمال في تقصير الآمال • وإطالة الفكرة تنقيح الحكمة •
ورأس الرياسة تهذيب السياسة • ومع اللجاجة تلغ الحاجة • وعند
الأوجال تتفاضل الرجال • وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم • وبتدبير
السفير يمن التدبير • وتخلل الأحوال بين الأهوال • وبموجب الصبر
ثمرة النصر • واستحقاق الإحماد بحسب الاجتهاد • ووجوب الملاحظ

كفاء المحافظة وصفاء الموالي بتعهد الموالي وتحلي المرؤات
بحفظ الامانات واختبار الاخوان بتخفيف الاحزان ودفع الاعداء
بكف الاذى وامتحان العقلاء بمقاربة الجهلاء وتبصر العواقب
يؤمن المعاطب وابقاء الشنعة بنشر السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفاء
وجوهر الاحرار عند الاختبار ثم قال هذه ما انبانا لفظة تجري على
اديب وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكسها
قالبها وان يردها على عقبيها فليقل الاشرار عند الاحرار وجوهر الوفاء
ينافي الجفاء وقبح الشنعة بنشر السمعة ثم على هذا المسحب فليسحبها
ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها ورب الاحسان
صنيعة الانسان قال الراوي فلما صدع برسالته الفريدة واملوحته
المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فابى قبول فلذتي
وقال لست ارزأ تلامذتي فقلت له لكن ابا زيد على شحوب سحنتك
ونضوب ماء وجنتك فقال انا هو على تحولي وتجولي وقشف محولي
فاخذت في تانيبه على تشريقه وتغريبه وتجوله واسترجه ثم انسل من قبله



سل الزمان على عضبه ليروعني واحد غربه
واجالني في الافق اطوي شرقه واجوب غربه
واسل من جفني كراه مراغما واسال غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه
ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفت اليه ومتلهف عليه
ثم ما لبثنا ان رحلنا الحي وتفرقنا ايدي سبا

المقامة الثامنة عشرة

حدث الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام الى مدينة
السلام في ركب من بني نمير ورفقة اولي خير ومير ومعنا ابو زيد
عقلة العجلان وسلوة الثكلان واعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان
في البنان فصادف نزولنا سنجار ان اولم بها احد التجار فدعا الى
الجفلى من اهل الحضارة والفلاحين سرت دعوته الى القافلة فجمع
فيها بين الفريضة والنافلة فلما اجبنا مناديه وحللنا ناديه
احضر من اطعمة اليد والبدن ما حلا في الفم وحلي بالعين

ثم قدم جاما كانما جمد من الهوا او جمع من الهبا او صيغ
من نور الفضا او قشر من الدرة البيضا وقد اودع لطايف النعيم
وضمخ بالطيب العميم وسبق اليه شرب من تسنيم وسفر عن مراى
وسيم وارج نسيم فلما اضطرمت بحضرة الشهوات وقرمت
الى نخبة اللهوات وشارفنا ان نشن على نهبه الغارات ونبادي
عند نهبه بالثارات تشزر ابو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد
الضب من النون فراودناه على ان يعود وان لا يكون كقدار في ثمود
فقال والذي نشر الاموات من الرجام لا عدت دون رفع الجام
فلم نجد بدا من الفه وابرار حلفه فاشلناه والعقول معه
شايلة والدموع عليه سايلة فلما فا الى مجثمه وخلص من ماتمه
سالناه لم قام ومعنى استرفع الجام فقال ان الزجاج نمام
واني اليت مذ اعوام ان لا يضمني ونماما مقام فقلنا له وما سبب
يمينك الصرى والنسك الجرى فقال لي جار لسانه يقرب وقلبه عقرب
ولفظه شهد منقع وخبوه سم منقع فملت لمجاورته الى محاورته
واغتررت بمكاشرته في معاشرته واستهوتني خضرة دمنته

لمنادمته واغرتني خدعة تمتمته بمناسمه فمازجته وعندي
انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وآنسته على انه
مؤانس فظهر انه حباب في البرد مالحته ولا اعلم انه عند نقده ممن
يفرح بفقده وعاقرته ولم ادر انه بعد قره ممن يطرب لمفره
وكانت عندي جارية لا توجد لها في الكمال مجارية
ان سفرت تخجل النيران وصليت القلوب بالنيران وان بسمت ازرت
بالجمان وبيع المرجان بالمجان وان رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل
وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وان قرات
شفت المفؤود واحيت الموؤد وخلتها اوتيت من مزامير آل داود
وان غنت ظل معبد لها عبدا وقيل تحفا لاسحاق وبعدا وان زمرت
اضحى زنام عندها زنيما بعدما كان لجيله زعيما وبالاطراب
زعيما وان رقصت امالت العمايم عن الرؤس وانست رقص الحبب
في الكووس فكنت ازدري مع تملكها
حمر النعم واحجب مرآها عن الشمس والقمر واذود ذكراها عن ترايب
وانا مع ذلك الج من ان تشرى برتابها دخ او يكهن بها سطيح او يم عليها

برق مليح فاتّقي لو سُلّ الحظ المنحوس ونكدا الطالع المنحوس
ان انطقني بذكرها حُمَيّا المُدام عند الجار النمّام ثم تأدّب
الفهم بعد انصرام البينهم فاخشيت الخبال والوبال وضيعة مال او ودع
ذلك الغريب لسد آتي عاهدته على عكم ما لفظته وان احفظ البر
لو حفظته فزعم انه يحزن الاسرار كما يحزن اللئيم الدينار وانه لا يهتك
الاستار ولو عرض لان يلج النار فما غبر على ذلك الزمان الا يوم
او يومان حتى بدا للامير تلك المدرة ذو الهماذي المقدرة ان
يقصد بان قتله بحدّ اعرض خيله ومستمطرا عارض نيله وارتاد
ان تضحيه تحفه بلائم هواه لينقدها بين يدي نجواه وجعل سد الجعائل
لرواده ويبني المراغب لمن يظفره بمراده فاسف ذلك الجار الختار
الى بذوله وعصى في اذراع العار عذل عذوله فاتى الوالي
ناشرا اذنيه واتته ما كنت استرته اليه فما راعني الا انسياب صاحب
الى وانثيال جفدته على يسوموني اثارة بالدرة اليتيمة على ان الحكم
عليه في القيمة فغشيني من الهم ما غشي فرعون وجنوده من اليم
ولم ازل اذافع عنها ولا يغني الدفاع واستشفع اليه ولا يجدي

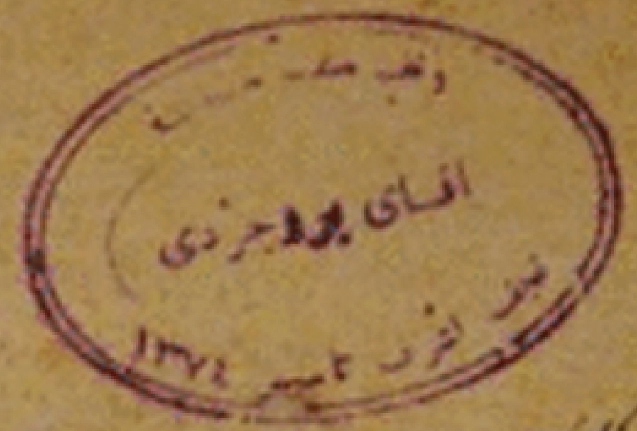
الاستشفاع وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص وارتياد المناص
تجرّم وتضرّم وحرّق علي الارّم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقته
بذري وبان انزع قلبي من صدري حتى آل الوعيد ايقاعا النقع
قراعا فقادني الاشفاق من الحنق الى ان قصته سواد العين
لصفرة العين ولم اخط الواشي بغير الحاتم والشين فعاهد الله تعالى
مذ ذلك العهد ان الحاضر نماما من بعد والزجاج مخصوص
بهذه الطباع الذميمة وبه تضرب المثل في النميمة وقد جرى على
يمسّ يميني ولذلك السبب لم تمتد اليه يميني
فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على ان حرمتم ذا قطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وانني بارز توقي من تليدي وطارفي
على ان ما زودتكم من فكاهة الزمن الحلو الذي كل عارف
قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له ما
وقذّر النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر
ثم نبأناه عما اجترحه القتات ودخله المغتاب
بعد ان راسل نبل السعاية وجذم حبل الرعاية فقال الخد في الاستخذاء

والاستكانة والاستشفاع إلى ذوي المكانة وكنت حرجت
على نفسي أن يسترجعه أنسي أو يرجع إلى أمسي فلم يكن له مني سوى الرد
والإصرار على الصد وهو لا ينكف من النجعة ولا يتب من وقاحة الوجه
بل يلظ بالوسايل ويلح في المسايل فما انفك من إبرامه ولا انفك عليه
نيل مرامه الا أبيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المستور
فإنها كانت مدحرة لشيطانه ومجنة له في أوطانه وعند إنشادها
بت طلاق الجور ودعا بالويل والثبور وأيس من نشر وصلي المقبور
كما يئس الكفار من أصحاب القبور فناشدناه أن ينشدنا إياها
ويسمعنا رباها فقال اجل خلق الإنسان من عجل ثم أنشد لا يزويه
خجل ولا يثنيه وجل

شعر

ولي صاحب صدقته ذي إذ توسمته صديقا حميما
ثم أوليته قطيعة قال حين ألقيته صديدا حميما
خلته فلما رجوت الوفاء دماء فبان جلفا ذميما
وغيرته كلما فاستوقفني قلبي بما جناه كليما
وتطيبه منعا رحيما انتشته لعنا رجيما

وإن أتيته مريدا فجلى عنه ستكلي له مرتدا لئيما
ولو شمت أن يمتد نسيما فأبى أن يهب الا سموما
بنشر لسعه الذي أعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وعادل أمره غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رأيها خصيبا ولكن كان بالسر رايعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عدوا لم يحصل نديما
بغض الصبح حين نم إلى قلبي لأن الصباح يلفى نموما
ودعاني الهوى لليل إذ كان سواد الدجى رفيقا كتوما
وكفى من نبي ولو فاه بالصدق أثاما فيما أتاه ولوما
قال الراوي فلما سمع رب المنزل قريضه وشجعه واستملح تقريظه
وشعبه بوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته ثم استحضر من صحاف
من الغرب فيها حلواء القند والضرب وقال له لا يستوي أصحاب النار
وأصحاب الجنة ولا ينبغي أن يجعل البري كذي الظنة وهذه الآنية
تنزل منزلة الأبرار في صون الأسرار فلا تولها الإبعاد ولا تحق
مود إبعاد ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه ليحكم فيها بهواه فأقل
نعما بهواه



ابو زيد وقال اقرؤا سورة الفتح وابشروا بانه دنا الفرج وقد جبر الله
ثكلكم وثنى الى كلكم وجمع في ظل الحلوان شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم ولما هم بالانصراف مال الى استنهاض الصحاب فقال
للاديب ان من دلائل الظرف سماحة المهدي بالطرف فقال كلاهما
والغلام فاخذ في الكلام وانهض بسلام فوثب في الجواد وشكره
شكر الروض للسحاب ثم اقتادنا ابو زيد الى جوابه وحكمنا في
حلوائه وجعل يقلب اناءه بين يديه وينقض عددها على عدده ثم قال
لست ادري اشكو ذلك النمام ام اشكر واناسي فعلته التي فعل ام
اذكر فانه وان كان اسلف الجريمة ونم النميمة فمن غنيمة انهلت
هذه الديمة وبسيفه احتازت لي هذه الغنيمة وقد خطر ببالي
ان ارجع الى اشبالي واقنع بما تسنى لي وازلا اتعب نفسي ولا اجمالي
وانا اودعكم وداع محافظ واستودعكم خير حافظ
ثم استوى على راحلته راجعا في حافرته ولاويا الى زافرته فغادرنا
بعد ان وجدت عنسه وزايلنا انسه كدست غاب صدره او ليل افل بدره

المقامة التاسعة عشرة

روى الحارث بن همام
قال انجل العراق ذات العويم لاختلاف انواء الغيم وجدب الرواد
بريف نصيبين وبلهنية اهلها المخصبين فاقتعدت مهريا واعتقلت
سمهريا وسرت يلفظني ارض الى ارض ويجذبني رفع من خفض حتى
بلغتها نقضا على نقض فلما الخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها
بنصيب نويت ان القي بها جراني واتخذ اهلها جيراني الى ان يحيى
السنة الجماد ويعهد ارض قومي العهاد فوالله ما اغتمضت
مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي عن يومها او الفيت ابا زيد السروجي
يجول في ارجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصاب والمصيبين وهو
يتر فيه الدرر ويختلب بكفه الدرر فوجدت جهادي قد جاد
مغنما ووذى الفذ قد صار توأما ولم ازل اتبع ظله ايما انبعث
والتقط لفظه كلما نفث الى ان عراه مرض امتد مداه وعرقه
مداه حتى كاد يسلبه ثوب الحيا ويسلمه الى يد البلى فوجدت
لفوت ملقاه وانقطاع سقياه ما يجده المبعد عن مرامه
والمرضع عند فطامه ثم ارجف بان رهينه قد علق وبحبل الحمام
به قد علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين وانثالوا الى عقوته موجفين

أرى من لم يعن حميم ولا حمى كلفت منه بحمى
وما أبالي أدنى يومه أم أخر الحين إلى حين
فأي فخر في حياة أرى فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم تداعينا
إلى القيام لاتقاء الإبرام فقال كلا بل اثبتوا بأصل يومكم عندي
لتسعدوا بالمفاكهة وجدي فإن مناجاتكم قوت نفسي ومغاصين
أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث
نمخض زبده ونلغي زبده إلى أن جاز وقت المقيل وكلت الألسن
من القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة يانع الحديقة فقال
لنا إن النعاس قد أمال الأعناق وراود الآماق وهو خصم البدن
وخطب لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة
قال الراوي فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان
وأوقع السنة في الأجفان حتى خرجنا عن حكم الوجود وصرنا
بالهجود عن التهجد فما استيقظنا إلا والحر قد باخ واليوم قد شاخ
فكر علينا الصلاة الجماعتين وأدينا ما حل من الدين ثم جنحنا للاد

وقال
جيادي بميدان الشجون كأنهم أنضوا الخندريسا
أبالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وبجوا الرؤوسا
يودون لو سالمته المنون وعالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن ألف بأصحابه واغتدى إلى بابه فلما انتهينا
إلى فنائه وتصدينا لاستئنائه أنابه برز إلينا فتاه مفترة شفتاه
فاستطلعنا طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال إنه كان
في قبضة المرضة وعركة الوعكة إلى أن شفه الدنف واستشفه
التلف ثم من الله تعالى بتقوية ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا
أدراجكم وانضوا انزعاجكم فكأن قد غدا وراح وسقاكم الراح
فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل يؤذن بنا ثم خرج أذن لنا فلقينا
منه لقنا لسانا طلقا وجلسنا نحدق في سريره ونحدق في أساريره
فقلب طرفه في الجماعة ثم قال احتملوها بنت الساعة وأنشد

عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه لا بد من حتف سيبريني
ما بيننا بأن ولكنه إلى تقضي الأجل ينسيني

الى منقع الرحال فالتفت ابو زيد الى شبله وكان على شاكلته
وشكله وقال اني لاخالك يا عُزيز مضطرما في احشائهم الجمرة فاستدع
ابا جامع فانه بشرى كل جائع واردفه بابي نعيم الصابر على كل ضيم
ثم عززه بابي حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب واهد
بابي ثقيف فجنبه من الف وهلم بابي عون فما مثله من عون ولو استحضرت
ابا جميل الحمد اي جميل وحي هلا بام القرى لتذكر بكرى وامثالى
ام جابر ذكركم لعامر ذاكر وناد ابا الفرج ثم اتبعه بها ولا حرج واختم
بابي ذر فهو منيلا لكل حزين وان تقرنه ابا العلاء تم اسم كرم الخلا
واياك وان تستبد بنا البرجين قبل استقلال حمول البين واذ انزع القوم
عن المرابض وصافحوا ابا ايمن فاطف عليهم ابا البرود فانه عنوان
البر والفضيلة انه لطائف رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا
بالطيبات والطيبات الى ان آذنت الشمس بالمغيب فلما اجمعنا على التوديع
قلنا له الم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه قمطريرا ثم لاح
منيرا مستنيرا فسجد حتى اطال ثم رفع راسه وقال لا تياس عند النوب
من فرجة تجلو الكرب : فكم سموم هبت : ثم جرى نسيما وانقلب

وسحابة مكروه تجلت : واضحى او ما انسكب : ودخان خطب خيف منه
فما استبان له لهب : ولطالما طلع الاسى : وعلى تقفيه غرب
فاصبر اذا ما ناب روع : فالزمان ابو العجب : وترج من لطف الاله
لطائفا لا تحتسب : قال فاستملينا ابياته الغر : وتعاطينا النكت
البكر وودعناه مبهورين ببره ومغمورين ببره نفسه ما تضمن
هذه المقامة من الفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفيه
قوله ذات العوم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والبهمه
رغاد العيش ومنه قولهم عيش ابله والسمهرية الرماح وفي تسميتها
بذلك قولان احدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهر الشي وذلك
اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان
الرماح فنسبت اليهما والجران باطن عنق الجمل وقد يعمل منه السياط
وسمي جران العود الشاعر بقوله خذا حذرا يا كنتي فانني
رايت جران العود قد كان يصلح
وذلك انه كان اتخذ لزوجتيه اللتين تعصيانه سوطا من الجران
ووضعه في التنور ليجف فانه ربما يجفافه وقرضهما به

وقوله ضرب الله على الاذان اي انامنا ومنه قوله تعالى
فضربنا على آذانهم اي انمناهم وقد تدع نفسه منعناهم السمع
وقوله نكرعنا الصلوة العجما من اي غسلنا اكارعنا وهو
كناية عن الوضوء والعجما ان صلوتا الظهر والعصر سميتا بذلك
لاسرار القراءه فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجما آه وقوله
هلمّ اي قدله هلمّ وهي بمعنى هات واقبل اصلها ها بمعنى
التنبيه ولمّ اي اجمع والافصح ان يوجد لفظها مع المذكر
والمونث والاثنين والجمع وبه نطق القران في قوله تعالى والقائلين
لاخوانهم هلمّ الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلمّ
وللاثنين هلمّا وللجمع هلمّوا وللمونث الواحده هلمّي وللجمع هلممن وقوله
حيّهلا اي عجّل يقال حيّ هل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها
واثبات التنوين معها ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه اذا ذكر
الصالحون فحيّهلا بعمر وفي جمعه لغات اغراض شاعر ذكرها اذ ليس
هذا موضع شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغويه واما تفسير الكنى
الطفيليه والكنايات الصوفيه فابو يحيى كنية ملك الموت عليه السلام

وابو عمرة كنية الجوع وتكنى ايضا ابا مالك وقول الزاجر ابو مالك
يعتادنا في الظهائر وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحواري
وابو جنيد الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل
البقل وام القرى السكباج وابو جابر الهريسه وابو الفرج
الجوذابه وابو زين الخبيص وابو العلا الفالوذج وابو ابي
الغيول وابو البيرد البخور وام رجعان الطست والابريق

المقامة العشرون

روى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة
ولا يبارون في المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا
عن اهله وجاره فلما الحنا بها مطايا التسيار واستقللنا عن الاكوار
الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة
واتخذنا ناديا نعمره طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار
فبينا نحن به في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتئام اذ وقف
علينا ذو مقول جريّ وجرس جهوريّ فحيّا تحيّة نفاث في العقد
قناص للاسد والنقد ثم قال شعر

عندي يا قوم حارث عجب * فيه اعتبار للبيب الأريب
رأيت في ريعان عمري أخا * بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من * يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته * حتى يرى ما كان ضنكاً رحيب
ما بارز الأقران إلا انثنى * عن موقف الطعن بزج خضيب
ولا سما يفتح مستصعباً * مستغلق الباب منيعاً مهيب
إلا وتودي حين يسمو له * نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة بات في * ينعم في برد الشباب القشيب
يرشف الغيد ويرشفنه * وهو لدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبري به دهره * ما فيه من نظر وعود صليب
حتى أعادته الليالي لقى * يعافه من كان منه قريب
وأعجز الراقي تحليل ما * به من الداء وأعيا الطبيب
وصار بالنصر وصار منه * من بعد ما كان النجاة المجيب
وأصبح كالمقبور في خلقه * ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن * يرغب في تكفينه منه غريب

قال فلما انتهى إلى هذا البيت أعلن الخ

ثم إنه أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب فلما رأت دمعه
والقبائل لوعته قال لا جمعة المزاد وزيدة الأجواد والله ما لطف
بهتان ولا أخبرتكم الأعن عيان ولو كان في عصاي سير
ولعيني مطير لاستأذنت بادعوتكم إليه ولما وقفت موقف الزال
عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح
قال الراوي وطفق القوم يتمارون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتمرون
وتوهم أنهم على صرفه يجمعون أو بمطالبته برهان يفرط منه أن قال
يا بلاقع القاع وبرابع البقاع ما هذا الإدماج الذي باءت به الحال
حتى كأنكم كلفتم سفة الأسفة أو استوهبتم بلدة لا تردة
لكسوة الميت أو لتكفين الميت أتى من لا يدري صفاته ولا جرح
حصاته فلما نضبت الجماعة بذل الرفد ومبارزة منه أفقد رفاً كل منهم
نيله واحتمل طله خوف سيله قال الحارث بن همام وكان صدر الليل
داوما خلعي ومجيبا نظري عن طرفي فلما أرضاه القوم نسيتهم ومخي على
اللباب ثم خلعت خاتمي من خنصري ولففته بصري فإذا
بلا فريه ولا مرية فانفقت أنها أخذ دية نكذبها واحتوله نصيبها

الا انني ظننته على غرة وصنت شغاه عن فرة فحصنته بالخاتم وقلت
ارصدته لتستعمله ثم قال واها لك فما اضرم شغلك واكرم فعلك
ثم انطلق يسعى قدما ويهرول ليه قدما فنزعا لي عرفان منته
وامتجاز حوى حمته فرعت ظنوني والهبت الهوني حتى ادركته
على غلوة واجتليته في خلوة فاخذت بمجامع اردانه وعقته عن سنن
ميدانه وقلت والله ما لك مني ملجا ولا منجا او تريني مسك المسحى
فكشف عن سراويله واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما العبد
بالتمر ولا خيلك على التمر ثم عدت الى اصحابي عودا لرايد الذي
لا يكذب اهله ولا يبرس قوله فاخبرتهم بالذي رايت دونما وريت
ولا رايت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون

حدث الحارث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري
وعرفت قبيلي من دبيري بان اصغي الى العظات والغي الكلم
المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق واتخلى مما يسم بالاخلاق
وما زلت آخذ نفسي بهذا الادب واخمد جمرة الغضب حتى

صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا فلما حللت
بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي رايت بها ذات
بكرة زمرة اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان
الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم
يتمالكني لاستماع المواعظ واختبار الواعظ ان اقتفي اللاغط
واجتمل الضاغط فانحشرت بصحابه لطواعه وانخرطت في سلك الجماعة
حتى افضينا الى ناد جمع الامير والمامور والنبيه والمغمور
وفي وسط هالته ووسطه اهلته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس
وتطيلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته
يقول وقد افتتنت به العقول ابن آدم ما اغراك
بما يغرك واضراك بما يضرك والهجك بما يطغيك وابهجك بمن يطريك
تعنى بما يعنيك وتهمل ما يغنيك وتنزع في قوس تعديك وتتردى الحرص
الذي يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات
تستمع ولا بالوعيد ترتدع دابك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط خبط
العشواء وهمك ان تثري في الاجراء وتجمع التراث للوراث يعجبك

البكاء بما لديك ولا تدخر ما بين يديك وتسعى ابدا لغاربك
ولا تبالي الكرام عليك اتظن ان ستترك سدى ولا تحاسب غدا
ام تحسب ان الموت يقبل الرشى او يميز بين الاسد والرشا والله لن ينفع
مال ولا بنون ولا ينفع اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع
ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز
من ارعوى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم
انشد انشاد رجل بصرت رجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه بمخلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه ونابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه
وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

فان قصارى منزل الحي حفرة سينزلها مستنزل عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه
قال فظل القوم من عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت
الشمس تزول والفريضة تفول فلما خبت الاصوات والتأم الانصات
واشتكت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامر الحاضر
وجعل يجار الله من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لا عن
كشف ظلمه فلما آنس من رفقه استنهض الواعظ لنجحه فنهض نهضة
الشهم وانشد معرضا بالامير ١٦ شعر

عجبا لراج ان ينال ولاية حتى اذا ما نال بغيته بغى
يبدي ويلحم في المظالم والقاني زردها طورا وطورا مولغا
يا ويحه لو كان يوقن انه ما حال الا ليحول لما طغى
ما ان بالى حين تبع الهوى فيما اصلح دينه ام اوتغا
او لو تبين ما ندامة من صغا سمعا الى اهل الوشاة لما صغا
فالفذ لمن اضحى الزمام بكفه وتخاص ان يلغي الرعاية او لغا
وازع المراد اذا دعاك لرغبة ورد الاجاج اذا حماك السيغا

وأجمل أداه ولو أمضك منه وأبال عرب الزنج منك أفرغا
فليضحكنك الدهر منه إذا أنا بعته وشب لكيده نار الوغا
وليترك به الشمات إذا بدا متحليا من شغله متفرغا
ولتأذين له إذا ما حده أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له وليتوقف توقفا فيه يرى درك الفصاحة
ولتحترز إذن من فقع الفلا دحا بمن على النقيصة والشغا
ولو أخذن بما أجنى ومن أجنى ويطالبن بما جنى ومن ارتغا
ويأفقن على الدقائق مثلما قد كان يفعل بالورى بذ البلغا
حتى يعض على اليدين كفه ويود لو لم يبغ منها ما بغا

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الإدلال بذلك والاغترار بصولتك فإن الدولة تنسخ قلب والقدرة برق خلب وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تكن ممن بدا الآخرة وبلغها ويوثر العاجلة ويتبعها وظلم الرعية ويوذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل يا إنسان لا تلغي الإساءة والإحسان بل سيوضع لك الميزان

ذكر ما دين بدأن قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانقفع وجعل ينافر من الإمرة ويزدف الزفرة بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو منه فأشجاه وألطف الواعظ وحباه واستدعى منه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته فاعتقبته أخطو مقاصرا داريه لنجا بأصر فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير دليليك من أرشدك أقبل مني وانشد شعر

أنا الذي تعرفه يا حارث حدث ملوك فكه منافث
أطرب ما لا تطرب المثالث طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث ولا برى عودي خطب كارث
ولا فرى نابي جد فارث بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل برج فيه ذئبي عائث حتى كأني للأنام وارث
سيانهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله إنك لأبو زيد ولقد قمت لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم إذا أم وقال اسمع يا ابن أم شعر



عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد

ثم انه ودع اخدانه وانطلق يخب ابدانه فطلبناه من بعد
بالري واستنشرنا خبره من مدارج الطرق فما فينا من عرف قراره
ولا درى اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حدث الحارث بن همام قال أويت في بعض الفترات الى سقي الفرات
فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقا من الماء
الفرات فاطفت بهم لابتذالهم لا لذهبهم وكاثرتهم لادبهم لا لما
فوصلت بهم الى الكور بعد الجور وجالست منهم اضراب القعقاع
بن شور حتى انهم اشركوني في المرتع والمربع واحلوني محل الانملة
من الاصبع واتخذوني ابن انسهم في الولاية والعزل وخازن سرهم
في الجد والهزل فاتفق ان بدوا في بعض الاوقات لاستقرا اسراع
الرزداقات فاختاروا من الجواري المنشآت جارية جالكة الشيات
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساع في الجباب كالحباب
ثم دعوني الى المرافقة واستدعوني للموافقة فلما ركبنا على المطية

الدهما وبنطنا الولية الماشية على الما رأينا فيها شيخا
عليه بحق بزة بالية وسبت بال فنحا بجانب الجماعة بمحضره وعنفت
من اخضره وهمت بانزاره من السفينة لولا ما تاب الهمام السكينة
فلما لمح منا استثقال ظله واستبراد طله تعرض للمنافسة فصمت
وجمجم بعد ما عطس فما شمت فلم نرد نظر فيما الت حاله اليه
ونتطر بضره المبتغى عليه وجلنا الحر في شجون من جد ومجون الى
ان اعترض ذكر الكاتبين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل
ان كتبة الانشا انبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب
واحتد الحجاج وامتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال مطرح
ولا للمرا مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم ايها النادرة العطر
الصواب والغلط وان جلية الحكم عندي فارتضوا بعقدي ولا تستفتوا
احدا بعدي ٥ اعلموا ان صناعة الانشا ارفع وصناعة الحساب
انفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب واساطير البلاغات
تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشى جهينة الاخبار
وحقيبة الاسرار وكبير الندما ونجي العظما وقلمه لسان الدولة

وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير
والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك النواصي
ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي وصاحبه بريء من التبعات
آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات
فلما انتهى في الفصل إلى هذا الفصل لحظه من كتاب القوم أنه ازدرع
حبا وبغضا وأرضى بعضا فعقب كلامه بأن قال إلا أن صناعة الحساب
موضوعة على التحقيق وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب
ضابط وقلم المنشئ خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير
السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة
تملأ الأكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الأوارج يغني الناظر
واستخراج المدارج يعني الناظر ثم إن الحسبة حفظة الأموال وحملة الأثقال
والشهود المقانع عند استجار الرجال واستعار الجدال ومنهم المستوفي
الذي هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الأعمال والمهيمن
على العمال وإليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج
وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الإعطاء والمنع ولولا قلم الحساب

وأحفظ بعضا

والنقلة الأثبات والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف

لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن إلى يوم الحساب ولكان
نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف
مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن يراع الإنشاء متقول ويراع
الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش ولكليهما حمة حين
يرقى إلى أن يلقى ويرقى وإعنات فيما ينشئ حتى يلقى وينتهي إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال الحارث بن همام فلما أمتع الأسماع
بما راق وراع استنسبناه فاستراب وأبى الانتساب لو وجد منتسبا با
لأنساب فجعلت من لبسه على غمة حتى إذ كرت بعد أمة فقلت والذي
سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني لأجد ريح أبي زيد وإن كنت
أغمد ذا رداء وأيد فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا هو على استحالة حالي
وحولي فقلت لأصحابي هذا الذي لا تفرى فريته ولا تبارى عبقريته
فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عنها لألفة ولم يرغب في النحلة
وقال أما بعد أن نحقتم حقي لأجل يخع وكشفتم بالي لأخلاق
بزيالي فما أراكم إلا بالعين السخينة ولا أراكم مني إلا صحبة السفينة
اسمع أخو صحبة من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلنّ بقضيةٍ مبتوتةٍ في مدح من لم تبلُه أو خدشه

وقِفِ القضيّة فيه حتى تجتلي وصفيه في حالَي رضاه وبطشه

ويبين خُلّب برقه من صدقه للشائمين ووبلُه من طشّه

فهناك إن تر ما يشين فواره كرماً وإن تر ما يزين فأفشه

ومن استحقّ الارتقاء فرقّه ومن استحطّ فحطّه في حشّه

واعلم بأنّ التبر في عرق الثرى خافٍ إلى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرّها من حكّه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظّم جاهلاً لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذّباً في نفسه لدروس بزّته ورثّة فرشه

ولكم أخي طمرين هيب لفضله ومفوّف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغشَ عاراً لم تكن أسماله إلّا مراقي عرشه

ما إن يضرّ العضب كون قرابه خلقاً ولا البازي حقارة عشّه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كلٌّ منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصاً لرثاثة برده وأن لا نزدري سيفاً مخبوءاً في غمده

المقامة الثالثة والعشرون

أخبر الحارث بن همام قال ما ألفت الوطن في شرخ الزمن لخطب خشيّ وخوف غشيّ فأرقت كأس الكرى ونصبت كاهل السرى وجبت في سيري وعوراً لم تدمثها الخطى ولا اهتدت إليها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسروت جلابيب الروع واستعرت دثار الأمن وشعاره وقصرت همتي على لذة أجتنيها وملحة أجتليها فبرزت يوماً إلى الحريم لأروض طرفي وأجيل في طرفه طرفي فإذا فرسان متتالون ورجال متتالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبّب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضت إثر النظارة حتى وافينا باب الإمارة وهناك صاحب المعونة متربعاً في دسته ومرموقاً بسمته فقال له الشيخ أعزّ الله الوالي وجعل كعبه العالي إني كفلت هذا الغلام فطيماً وربّيته يتيماً ثم لم آله تعليماً فلما مهر وبهر جرّد سيف العدوان ولم أخله يلتوي عليّ وشيخ حين يرتوي مني ويلتحي فقال له الفتى علام عثرت مني حتى تشهر هذا الأمر عليّ فوالله ما سترت وجه برّك ولا أسقفت عصا أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك فقال الشيخ

ويلك وأي بيت أخزى من دينك وهل عنت أفحش من عيبك وقد أذعت
بحري واستلحقته وانتحلت شعري واسترقته واسترق الشعر عند الشعراء
أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم
على البنات الأبكار فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق وسلخ
أمسخ أم نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب
ما أخذ سوى أن شمل شرحه وأغار على ثلثي سرحه فقال له أنشد
أبياتك برمتها ليتضح ما اختاره من جملتها فأنشد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا تبا لها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيها المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى ووتت سرى الأقدار

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال أقدم لؤمه في الحرا على
أبياتي الثمانية الأجر فأخذ منها جزءين ونقص من أوزانها
وزنين حتى صار الرزء فيها رزءين فقال الفتى ما أخذ ومن أين فقال
ارعني سمعك وأخل للتفهم عني ذرعك حتى تبين كيف أضلت علي
ونقدر قدر اجترامه إلي ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى

فالتفت الوالي إلى الغلام
وقال تبا لك من خرج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئ من الأدب
وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه إن كانت أبياته تمت إلي
قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر
قال فكأن الوالي حوز صدق زعمه فندم على بادرة ذمه وظل يفكر فيما
يكشف له عن الحقائق وتميز به الفائق من المائق فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة
ولزهما في قرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل واتضاح
الحق من الباطل فتراسلا في النظم وتبارزا وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا

ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة فقالا له بلسان
واحد وجنان متوارد قد ارتضيناك حكمًا فقال إنّ نوعًا
من أنواع البلاغة التجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة
أبيات تجمعانها توشيه وترصّعانها بحليه وضمّناها شرح حالي مع ألف
بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثنّي كثير التيه والتجنّي مغرى بتناسي العهد
وإطالة الصدّ وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ
مجلّيا وتلاه الفتى مصلّيا وتجاريا متبارين على هذا النسق إلى أن كمل
نظم الأبيات والنسق وهي

وأحوى حوى رقّي برقّة لفظه ... وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدّى لقتلي بالصدود وإنّني ... لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدّق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلّما ... أجدّ عذابي جدّ بي حبّ برّه
تناسى ذمامي والتناسي مذمّة ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سرّه
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ... وأكبره عن أن أفوه بكبره
له منّي المديح الذي طاب نشره ... ولي منه طيّ الودّ من بعد نشره

ولو كان عدلًا ما تجنّى وقد جنى ... عليّ وغيري يجتني رشف ثغره
ولولا تثنّيه تثنّت عشيّة ... بدا لي من اجتلى نور بدره
وإنّي على تصريف أمري وأمره ... أرى المرّ حلوًا في انقيادي لأمره

فلما أنشدا الوالي مترسلين بهت لذكائهما المتقاد لبيد وقال
أشهد بالله إنكما فرقدا سماء وكزندين في وعاء وإنّ هذا الحدث
ليفوق بما آتاه الله ويستغني بوجده عمّن سواه فتنبّها الشيخ من استسلامه
وثنى إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو تعلق به
ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع فاعترضه
الفتى وقال يا هذا إنّ اللجاج شؤم والحنق لؤم وتحقيق الظنّة إثم
والعتاب للبريء ظلم وهبني اقترفت جريرة واجترحت كبيرة أما تذكر
إذ أنشدتني لنفسك إذ بان أنسك شعر

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط ... وتجافَ عن تعنيفه ... إن زاغ يومًا أو قسط
وأطعه إن عاصى وهن ... إن عزّ وادن إذا شحط ... واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أو غمط
واقن الوفاء ولو أخلّ ... بما اشترطت وما اشترط ... واعلم بأنك إن طلبت ... مهذّبًا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قطّ ... ومن له الحسنى فقط ... أوما ترى المحبوب والمكروه ... لزّا في نمط

كالشطن يدنو الى الغصن مع الجذل المنتشط ولداته البحر الطويل يشوبهما نعت السبط
ولو استقريت بني الزمان لوجدت اكثرهم سقط قال فجعل الشيخ ينتفض نفضة
الصل ويحملق حملقة البازي ثم قال والذي زين السما بالشهب
وانزل الما من السحب ما رغبت عن الاصطلاح الا للتوقي الافتضاح
فان هذا الفتى اعتاد ان امونه وان اراعي شونه وقد كان الدهر يسمح
فلم اكن اشح فاما الان فالوقت عبوس وحشو الجيب لبوس حتى ان بيتي
هذه عارة وبيتي لا تطور به فارة قال فرق لهما قلبا الوالي واوى لهما
من غير الليالي وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف وامر النظارة بالانصراف
قال الراوي وكنت متشوفا الى مراي الشيخ لعلي اعلم علمه اذ عاينت وسمه
ولم يكن الزحام ليسفر عنه ولا يفرج لي فادنو منه فلما تقوضت الصفوف
واجفل الوقوف توسمته فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه فعرفت حسد مغزاه
في ما اتاه وكدت انقض عليه لاستشرف اليه فزجرني بايماض طرفه واستوقفني
بايما كفه فلزمت موقفي واخرت منصرفي فقال الوالي ما مرامك لاتما
سبب مقامك فابدره الشيخ وقال انه انيسي وصاحب ملبوسي ونسيج عيبة
هذا القول تانيسي ورخص في جلوسي ثم افاض عليهما خلعتين ووصلهما

بنصاب من العين واستوهبهما ارتياشا بالمعروف الى اطلاق المتبوع
المخوف فنهضا من ناديه مشيدين لشكر اياديه وشيعهما الاعرف
متوانيا وابزودهما فلما اخرنا مجلس الوالي وافضينا الى الفضا
الخالي ادركني احد جلاوزته مرتبا الى حوزته فقلت لابي زيد ما
اظنه استحضرني الا ليستخبرني فما ذا اقول وفي اي واد اجول
فقال بين له غباوة قلبه وتلعابي بلبه ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا وجمره
صادف نارا فقلت اخاف ان يتقد غضبه فيلفحني لهبه او يسري
طيشه فيسري الي بطشه فقال اني راحل الى الرها والى المنتقى
يسهل والي المشتهي فلما حضرت الوالي وقد خلا بمجلسه والحلي تغشيه اخذ
يصف ابا زيد وفضله ويلتم الدهر له ثم قال انشدك الله الست الذي
اعاره البرنس بيانات لديكم عليه الحبت فازورت مقلتاه واجمرت وجنتاه
وقال والله ما اعجزني قط فضح مريب ولا كشف معيب ولكن ما سمعت
بان تخضا دلس بعدما تطلس وتقلس فيهذا ثم له ان لقبر افترا ابن سلح
ذلك الكيس قلت اشفق منك لتعدي طوره وظعن عن بغداد من فوره
فقال لا قرب الله له نوى ولا كلاه اين ثوى فما وابت اشد من نكره

ولاخذت الامر من ماخذه ولولا حرمة ادبه لاوغلت في طلبه الى
ان يقع فاوقع به واني لاكره ان تشيع فعلته بمدينة السلام فتفضح
بين الانام ويحبط مكانتي عند الامام واصبح ضحكة الخاص
والعام فعاهدني ان لا تبوح به فمك ولا تخليك الى ان يسري
من بغداد قدمك وان لا تفوه بما اعتمد ما دمت حالا بهذا البلد
قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتاول ووفيت له
كما وفى السموأل

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في ابان
الربيع فتية وجوههم ابهج من انواره واخلاقهم ابهج من ازهاره والفاظهم
ارق من نسيم اسحاره فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني
عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد
وان لا ينفرد احدنا باللذاذ ولا يستاثر ولو برذاذ فاجمعنا في يوم
سما دجنه ودمى حسنه وحكم بالاصطباح مزنه على ان نلتمس
الخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر ونصقل الخواطر
بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة مودة

الى حديقة اخذت زخرفها وازينت وتنوعت ازاهيرها وتلونت
ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس والشادي الذي يطرب
السامع ويلهيه ويقري كل سمع ما يشتهيه فلما اطمان بنا الحلول
ودارت علينا الكوؤس غل علينا ذو طمر فتجهمناه تجهم الغيد
للشيب ووجدنا صفونا قد شيب الا انه سلم تسليم اولي الفهم
وجلس يفض لطائم النثر والنظم ونحن نزدري من انبساطه ونتبرى
لطي بساطه الى ان غنى شادينا المغرب ومغردنا المطرب

الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تاوين لي مما الاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها انا قد عزمت على انتصاف اساقي فيه خلي ما يساقي
فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمثاني لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني
فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بما اختاره سيبويه فتشعبت جنود
آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب
وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب

واستغربتهم للاصطحاب وذلك لواغل يبدي ابتسام ذي معرفة
وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكت الزاجر وصمت المزجور
والزاجر قال يا قوم انا انبئكم بتاويله واميز صحيح القول من عليله
انه لا يجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في الاعراب بينهما وذلكم
بحسب اختلاف الاضمار والتقدير المحذوف في هذا المضمار قال
فنفر من الجماعة افراط في مماراته والانخراط الى مباراته فقال ايها
الذي دعوتم نزال ولبيتم للنضال فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب
او اسم لما فيه حرف حلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم
واية هاء اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل واين تدخل السين
فتعزل العامل من غير ان تجامل وما منصوب ابدا على الظرف لا يخفضه
سوى حرف واي مضاف اخل من عرى الاضافة بعروة واختلف
حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذي يتصل آخره باوله ويعمل
معكوسه مثل عمله واي عامل نائبه ارحب منه وكرا واعظم
مكرا واكثر لله تعالى ذكرا وفي اي موطن تلبس الذكران
براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المفرد

والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه
على حرفين وفي وضعه الاول التزام وفي الثاني الزام وما وصف
اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون
وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسالة وفق عددكم وزنة لددكم
ولو زدتم زدنا وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد
علينا من احاجيه التي هالت لما انهالت ما حارت له الافكار وحالت
فلما اعجزنا العوم في غمره واستسلمت تمائمنا لبحره عدلنا عن استثقال
الرؤية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغي التبرم به الى استعطاف التعلم
منه فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام لا انلتكم
مراما ولا شفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتخصني كل منكم
بيد فلم يبق في الجماعة الا من اذعن لحكمه وبذل له خباء كمه فكشف
حينئذ عن اسرار الغازه وبدائع اعجازه ما جلا به صدأ الاذهان
وجلى مظلمه بنور البرهان قال الراوي فهمنا حين فهمنا وعجبنا اذ اجبنا
وندمنا على ما ندمنا واخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكابر ونعرض عليه
ان نضاعف الكابر فقال ما ارب لاحفاده ومشرب لم يسوله عندي حلاوة

فشمخ بأنفه صلفاً ونأى بجانبه أنفاً وأنشد شعر

نهاني الشيب عمّا فيه أفراحي وكيف أجمع بين الراح والراح

وهل يجوز اصطباحي من معتّقة وقد أنار مشيب الرأس إصباحي

آليت لا خامرتني الخمر ما علقت روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي

ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ولا أجلت قداحي بين أقداحي

ولا صرفت إلى صرف مشعشعة همّي ولا رحت مرتاحاً إلى راح

ولا نظمت على مشمولة أبداً شملي ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي

محا المشيب مراحي حين خطّ على رأسي فأبغض به من كاتب ماحي

ولاح يلحى على جري العنان إلى ملهى فسحقاً له من لائح لاحي

ولو لهوت وفودي شائب لخبا بين المصابيح من غشيان مصباحي

قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت أنه سراج

سروج وبدر الأدب الذي يجتاب البروج وكان قصاراي التحرّق

لبعاده والتحرّق من بعاده ٥ لتفسير ما أودع هذه المقامة

من النكت العربية والأحاجي النحوية ٥ أما صدر البيت الأخير من الأغنية

الذي هو فارق ضلالاً الذي به توصل فإنه نظير قولهم المرء مجزيّ

بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهذه المسألة أودعها سيبويه

كتابه وجوّز في إعرابها أربعة أوجه أجودها وهو أجودها

أن تنصب خير الأول وترفع الثاني وتنصب شر الأول وترفع الثاني

وتقديره إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير وإن كان عمله شراً فجزاؤه

شر فتنصب الأول على أنه خبر كان وترفع الثاني على أنه خبر

مبتدأ محذوف وقد حذفت على هذا الوجه كان واسمها بدلالة

حرف الشرط الذي هو إن عليهما تقديرهما وحذف أيضاً المبتدأ لدلالة

الفاء التي هي جواب الشرط عليه كقولهم إن تأتني فأنت مكرم لأنه كثر

ما يقع بعدها والوجه الثاني أن تنصبهما جميعاً ويكون تقدير الكلام

إن كان عمله خيراً فهو يجزى خيراً وإن كان عمله شراً فهو يجزى شراً

فتنصب الأول على أنه خبر كان وتنصب الثاني انتصاب المفعول به

والوجه الثالث أن ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كان

في عمله خير فجزاؤه خير فترفع خير الأول على أنه اسم كان وخبر الثاني

بأنه خبر مبتدأ محذوف على ما تقرر في شرح الوجه الأول وقد يجوز أن ترفع خير



الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة هاهنا
هي التامة التي تاتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر
كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير
في المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير اي ان حدث خير فجزاؤه خير
والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه
في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما مر ذكره في الوجه الثاني
ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا
التفسير والمقدرات المحذوفات فيه تجرى اعراب البيت الذي غني به
ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف
وان خنجرا فخنجر ٥ واما الكلمة التي هي حرف محبوب واسم لما فيه
حرف جلوب فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار او العدة عند السؤال
فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتونث وتطلق على
الابل اذا انفردت وعلى كل ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة
الضامر سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة
تشبيها لها بحرف الجبل ٥ واما الاسم المتردد بين مفرد جازم وجمع

ملازم

ملازم فهو السراويل قال بعضهم هو جمع واحده سروال مثل
شملال وشماليل وعلى هذا القول جمع وقال بعضهم هو واحد وجمعه
سراويلات وعلى هذا القول هو فرد وحكي عن شيخه الخضر بانه
جازم ومعنى قوله ملازم اي لا ينصرف وقد الغز فيه بانه ملازم
وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف وبعدها
حرف مشدد او حرفان او ثلثة احرف لثقله وتفرده دون غيره
من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الاحاد ٥ واما الهاء
التي اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة
بالجمع المتقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع
عند التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الاحاد نحو رفاهية
وكراهية فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كني
في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالملازم ٥ واما السين التي تعزل
العامل من غير ان تخاصمه فهي اذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت
بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب فترفع
حينئذ الفعل وتنقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى ان تصير

عما لا ينصرف بالمعتقل كما كني في التي قبلها صح

المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى
وتقديره علم انه سيكون ٥ واما المنصوب على الظرف الذي
لا تخفضه سوى حرف فهو عند ولا تخرجه من حروف الجر غير من خاصة
وقول العامة ذهبت الى عنده لحن ٥ واما المضاف الذي
اخل من غير الاضافة بعروة واختلف حكمه بين سبا وغدوة
فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما ياتي
بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم
اياها في الكلام ثم نونتها ايضا ليتبين بذلك انها منصوبة لا انها
من انواع المجرورات التي لا تنصرف وعند بعض النحويين ان لدن بمعنى
عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند تشتمل معناها
على ما هو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن تختص
معناها بما حضرك وقرب منك ٥ واما العامل الذي يتصل آخره
باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسه اي وكلتاهما من حروف
النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وان كانت يا اصول في الكلام
واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادي باي القريب فقط

كالهمزة ٥ واما العامل الذي نائبه ارحب منه وكرا واعظم
مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فهو با القسم وهذه البا هي
اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك
اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت
الواو منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب
معنييهما لان الواو تفيد الجمع والبا تفيد الالصاق والمعنيان
متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من البا ادور في الكلام واعلق
بالاقسام ولهذا الغز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثر
موطنا من البا لان البا لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر
والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة
باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف كما
في قوله تعالى ويعفو عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا فلهذا
وصفها برحب الوكر وعظم المكر ٥ واما الموطن الذي
يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال
فهو اول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلثة الى العشرة

فانه يكون مع المذكر بالها ومع المونث بحذفها كقوله تعالى
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وهو في غير هذا الموطن
من خصايص المونث كقولك قايم وقايمة وعالم وعالمة فقد رايت
كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمونث حتى انقلب
كل منهما الى ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه ٥ واما الموضع
الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث
تشتبه الفاعل والمفعول به لتعذر علامة الاعراب فيهما او في احدهما
وذلك اذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى او من اسما الاشارة نحو
ذاك وهذا فيجب لازالة اللبس اقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل
منهما بتقدمه والمفعول بتاخره ٥ واما الاسم الذي لا يفهم الا
باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيهما
قولان احدهما انها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول
الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها ما ما فزيدت عليها ما الاخرى كما تزاد
ما على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد
فابدلوا من الالف الاولى ها فصار تلفظها مهما ومهما من ادوات الشرط

والجزا ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا يعقل المعنى الا بايراد
كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل ويكون حينيذ ملتزما للفعل
فان اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى
وكنت ملزما مخاطبتك ان يكف ٥ واما الوصف الذي
اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من
الزبون وتعرض للهون فهو ضيف اذا الحقته النون استحال الى ضيفن
وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون وهي الكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه وارب
اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفني جهد البلا
وعكفني على الاصطلا فلم اكن ازايل وجاري ومستوقد ناري
الا لضرورة ادفع اليها او اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت
في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى ان برزت من كناني لمهم عناني
فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتم بريطة واستثفر بفوطة
وحوله جمع كثيف الحواشي ومنشئ وناشي



يا قوم لأخبرنكم عن فقري أصدق من عزبي وان الفقر

فاعتبروا بما بدا من ضري باطن حالي وخفي امري

وحاذروا انقلاب سلم الدهر فانني كنت نبيه القدر

آوي الى وفر وجد نفري نقيد صفري وتبيد سمري

وتشتكي كومي غداة اقري فجرد الدهر سيوف الغدر

وشن غارات الردى الى الغنى ولم يزل ينحتني ويبري

حتى عفت داري وغاض دري وبار سعري في الورى وشعري

وصرت نضو فاقة وعسر عاري المطا مجردا من قشر

كانني المغزل في التعري لا دثار لي في الصر والصنبر

غير الضحى واصطلاء الجمر فهل خضم ذو رداء غمر

يسترني بطرف وطمر طلابة وجه الله لا للشكر

ثم قال يا ارباب الثراء الرافلين في الفراء من اوتي خيرا فلينفق

ومن استطاع ان يرفق فليرفق فان الدنيا غرور والدهر عثور

والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف واني والله لطالما

تلقيت الشتاء بكافاته واعددت الاهب له قبل موافاته وها انا



اليوم يا سادتي بساعدي وسادتي وجلدتي بردتي وحفنتي

جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فان السعيد

من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد حلوت علينا ادبك

فاجل لنا نسبك فقال تبا لمفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى والادب

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن امسه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انه جلس محقوقفا واجرنثم مقفقفا وقال اللهم يا من غمرنا له

وامرنا له صل على محمد واله واعني على البرد واهواله وتح

لي حرا يؤثر من خصاصه ويواسي ولو بخصاصه قال الراوي فلما تحلى

عن النفس العصامية والملح الاصمعية جعلت عيني تمحه ومن في الحي

ترجمه حتى استبنت انه ابو زيد وان تعريه لاجتلاب صيد وتح ير

ان عرفاني قد ادركه ولم يامن من ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر

والزهر والزهر انه لن يستر في الامر طاب خيمه واشرب ما المروة

اديمه فعقلت ما عناه وان لم يدر القوم معناه وساءني ما يعانيه

من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل

فرأى تقصيها عني وقلت له أقبلها مني فما كذب أن افتراها
وعيني تراها ثم أنشد شعر
لله من كساني فروة أضحت من الرعدة لي جنّة
ألبسنيها واقيا مهجتي وقي شر الإنس والجنّة
سيكتسي اليوم ثناءً وفي غدٍ سيكتسي سندس الجنّة
قال فلما فتن قلوب الجماعة بإفتانه في البراعة ألقوا عليه من الفراء
المغشاة والجباب الموشاة ما آده ثقله ولم يكد ينقله فانطلق
مستبشرا بالفرج مستقبلا للكرج وتبعته إلى حيث ارتفعت التقية
وبدت السمات النقية فقلت له لشد ما قرسك البرد فلا تعد لمثلها بعد فقال
ويحك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف
ما ليس لك به علم فوالذي نوّر الشيبة وطيّب تربة طيبة لولا العزم
لرجب بالجبنة وصفر الجبين ثم رجع إلى الفرار وتبرقع بالاكفهرار
وقال أما تعلم أن شنشنتي الانتقال من صيد إلى صيد والانعطاف
من عمرو إلى زيد وأراك قد عقبتني وعقّتني وصددتني وأفنيت إضعاف
ما أفدتني فاعفني عافاك الله من لغوك واسدد دوني باب جدك

ولهوك

ولهوك فحسبك ته حبه البلغا و تمتعت به لليد عابسه
وقلت له والله لو لم أدرك وأعط على عوارك لما وصلت إلى صلة
ولا انقلبت بكسي من صلة تجازيني على إحساني إليك وسترى لك
وعليك بأن تسمح لي بوذا الفروة أو تعرفني كافة الشتوة فنظر إلي
نظر المتعجب وازمهرّ ازمهرار المتعصب ثم قال أما رد الفروة فأبعد
من رد أمس الدابر والميت الغابر وأما كافة الشتوة فسبحان
من طبع على ذهنك وأوهى دعائم ذهنك أما حتى أنشدتك لله شكره
لابن سكرة شعر
جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كنٌّ وكيسٌ وكانون وكأس طلا بعد الكباب وكسٌّ ناعم وكسا
ثم قال الحارث بن همام فخرجت من جلبابه في كنف بادي عيّه وانكفأت
وقد ذهبت فروتي وسفرت عن الرغبة طول سلوتي

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت ثنوي الأهواز لابسا حلة الإعواز
فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجي أياما مسودة إلى أن رأيت

تمادي المقام من عوادي الايام فرمقتها بعين القالي وفارقتها
مفارقة الطلل البالي وظعنت عن دستها كسير الازار راكضا الى المياه
الغزار حتى اذا برزت عنها مرحلتين وبعدت بعد يرى لئلين ترآءت لي خيمة
مضروبة ونار مشبوبة فقلت آتيهما لعلي انقع صدى او اجد على النار
هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رايت غلمة روقة وشارة مرموقة
وشيخا عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم نحا منته
فضحك الي واحسن الرد علي وقال الا تجلس الى من تروق فاكهته
وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما حضر به
فحين سفر عن آدابه وكشر عن انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح
قلبه فتعارفنا حينئذ وجفت بي فرحتان ساعتئذ ولم ادر ايهما
انا اضعف فرحا واوفى مرحا ابانتقاره عن دجنة اسفاره ام بخصب
رحاله لغدا مجاله وتاقت نفسي الى ان تفرخ سره وابطن داعيه
بشره فقلت له من اين ايابك والى اين انسيابك وبم امتلأت عيابك فقال
اما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس واما الجدة التي
اصبتها فمن رسالة اقتضيتها فسالته ان يقرئني دخلته ويكشف لي رسالته

فقال دون مرامك خرط القتاد او تصحبني الى السوس فصاحبته
لتيها قفرا وعكفت بها عليه شهرا وهو يعللني كاسات التعليل
ويجرني اعنة التاميل حتى اذا احرج صدري وعيل صبري قلت
انه لم يبق لك علة ولا لي تعلة وفي غد ازجر غراب البين وارحل عنك
بخفي حنين فقال حاش لله ان اخلفك واخالفك وما ارجاتك ان
اجدتك الا لتثبت واذا كنت قد ابرمت بعدي واغراك ظن
السوء بما عدني فاصغ لقصص سيرتي المسيرة واضفها الى اخبار الفرج
بعد الشدة فقلت هات فما اطول طيلك واهول حيلك فقال اعلم انني
لدهر العبوس القاني الى طوس وانا يومئذ فقير وقير لا فتيل لي
ولا نقير فالجاني صفر اليدين الى التطوق بالدين فاذنت لسوء الاتفاق
ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت يسر النفاق فتوسعت في الانفاق
فما افقت بحظي دين لزمني حقه ولازمني مستحقه فخرت في امري
واطلعت غريمي على عسرتي فلم تصد واملاني ولم يدع عن ازهاقي
زجه في التقاضي ولج في اقتيادي الى القاضي وكلما خضعت
له في الكلام واستنزلته رفق الكرام ورغبت في ان ينظرني

لمبايرة أو ينظرني إلى ميسرة قال لي لا تطمع في الإنظار واحتجاز
النضار فوحقك ما ترى مسالك الخلاص وتريني سنابك الجلاص
فلما رأيت الجداد لدده وأن لا مناص لي من يده شايعته ثم وافقته
لنرافعه إلى والي الجرائم لا إلى الحاكم في المظالم لما كان بلغني
من إفضال الوالي وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب أميره
آنست أن لا باب ولا آذن فاستدعيت دواة وبيضاء وأنشأت إليه رسالة
رقطاء   أخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونأيه
تلف وخلته نسب وقطيعته نصب وغربه ذلق وشيمته تألق
وظلفه زان وقويم نهجه بان وذهنه قلب وجرب ونعته شرق وغرب
سيد قلب سبق وشيمته أن وطن مغربه غربة وعزوف
مخلف متلف أغر قريب نائبه فاضل ذكي أنوف
معلق زناد طب ذا نار هياج وحل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه فاض وشح
قلبه غاض وخلف نجايه يحتلب وذهب حبائه يجتذب من لف لفه فلح
وغلب ناجز نائبه جلب وخلب كف عن هضم بريء وبرئ من دنس

غوى ودق لسانه بعزة ونكب عن مذهب لين لبس ثوبا عند كنزه
شنزل يعف عقة بز
فإن الجنث وتستجن عفافه شغفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غر بزق فوقه فوق إذا ناضلته غلاب
سمح سرود وتلاني زهفا خل فليس لحقه بن تاب
لا باخل باذ زجر وإذا نعتته بز لا حليه ما ب
إن عض أزل فل غرب عضاضه بمنابه فالجنب منه ناب
وجد يمر لت دفطر وقرب وسطر إذ ذعن لغريع زمن وجابر
زمن مد بضع ندي لبانه خضر بأفاضة بمنانه دوح وضاد فاج
دنا فريا زغ وقا نحو أبلج أتبع من سيلي وقط إذ هرونلي
وتوج صفاته تحت عفاته فلا خلا ذا نجعة ظل خصبه
فإنه بز من آنس ضوء شهبه زان من ناظره ملتبس خوف به
فليبن سند نافذه بمفاخر تأتلت وحلت وفريته لصانع نمت
ونمت ويلايم قرب حضرته غوث رقه يحط من حظوته فإنه تلبد
تذيب وشرتد حذب وحرج نوب أثن وناظم قلايد نسرت

اذا اختال للخطبة فلا يوجد قايل ثم قرنتهما بالقلب فارجحته
قلت حبرة قد نمنمت وخلت رياضا قد نمت هذا ثم شربه بزين دونه
قرض دفلقه عشق وحلياته خلق وقد تلى لنو غز غريم غاشم يستحيه
بحق لازم فان من سيدنا بكفه بهبات كفه توشح بمجد
فاق وبنا باخر فكن من ذاق لا خلف سحابا خلفه بزود شايم برقه بمين
رب ازني جما بدي قال فلما استنفد الحمير لا كيها ولج السير
المودع فيها ادعر في الحال لقضا ديني وفصل ما بين خصمي دينى ثم استخلصني
لمركابرقه واختصني باثرته فلبثت بضبع سنين العم في ضيافته وارتع في ربع
رافته حتى اذا عمرتني مواهبه واطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال
على ما ترى من حسن الحال قال فقلت له فكر المرتاح لك القبار
الشيخ الكريم فانقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على
سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد ثم قال ايهما احب اليك
ان اجذك من البطا ام اتحفك بالرسالة الرقطا قلت املا الرسالة
احب لي فقال هو وحقك اخف علي فانحلته ما يلج في الاذان
اهون من نحلة ما يخرج من الاذان ثم كانه انف واستحيا فجمع لي

بين الرسالة والحذا فاوفرت منه بسهمين ونصلت عنه بغنمين
وابت الى وطني قرير العين بما حويت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر الى مجاورة
اهل الوبر لاخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم العربية فشمرت
تشمير من لا يالو جهدا وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا الى
ان اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم اويت الى عرب
ارداف اقيال وابنا اقوال فاوطنوني امنع جناب وفلوا عني
حد كل ناب فما فاتني عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم الى ان اضللت
في ليلة مسيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم اطب نفسا باغفالها
والقا حبلها على غاربها فامتطيت فرسا محضارا واعتقلت
لدنا خطارا وسرت ليلتي جمعا اجوب البيدا واقري كل شجرا
ومدرا الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته فنزلت
عن متن الركوبة لادا المكتوبة ثم جلت في صهوتها وفررت
عن نحوها وسرت لا ارى اثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا



إلا جرعته ولا راكباً إلا استطلعته وجدي مع ذلك
يذهب هدراً والجد وزده صدراً إلى أن جانب صكة عمي
ولفح هجير يذهل غيلان عن مية وكان يوماً أطول من ظل القناة
وأحر من دمع المقلاة فأيقنت أني إن لم أستكن من الوديقة وأستجم
بالرقدة أدتني اللغوب وعلقت بي شعوب فنحيت إلى سرحة كثيفة
الأغصان وريقة الأفنان لأغور تحتها إلى المغربان فوالله ما استراح
نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت إلى سانح في هيئة سائح وهو ينحو
نحوي ويشتد إلى نقعي فكرهت انعياجه إلى معاجي واستعذت بالله
من كل مفاجي ثم توخيت أن يصدر منتشداً ويبدو مسترشداً
فلما اقترب من رحلي وكاد يحل بساحتي ألفيته شيخنا السروجي
منتحياً جرابه متأبطاً أهبة جوالة فأكرمت إذ رددت وآنسني ما شردم
استوضحته من أين انتأى وكيف عجره وبجره فأنشد بديها ولم يبغ اتئادا
قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزازه
أنا ما بين جوب أرض فأرض وسرى في مفازة فمفازة
زادي الصبر والمطية نعلي وجهادي الجراب والعكازه

فإذا أهبطت مصراً فبيتي غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لي ما آسى إن فات أو أحزن إن جا ولا الزمان ابتزازه
غير أني أبيت خلواً من الهم ونفسي عن الأسى منحازه
أرقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه
لا أبالي من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مرازه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذل إلى نيل حاجة مجتازه
وإذا ما طلبت كسباً جليلاً العباد بعداً لمن يروم نجازه
ومتى أهنت للدناءة يكثر عائف طعمي طماعة واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخناء ركوب الجنازه
ثم دفع إلي طرفه وقال الحزم ما جدع قصير أنفه فأخبرته
خبر ناقتي البارحة وما عانيته في يومي والبارحة فقال
دع الالتفات إلى ما فات والطماح إلى ما طاح ولا تأس على
ما ذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل من مال عن رجائك
واضرم نار رجائك ولو كان ابن بوجك أو شقيق روحك
ثم قال هل لك في أن نقيل ونتحامى القال والقيل فإن الأبدان

انضا تعب والهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط
الفاتر كقائلة الهواجر خصوصا في شهري ناجر فقلت ذاك
اليك وما اريد ان اشق عليك فافترش الترب واضطجع واظهر
انه قد هجع وانوقفت على ان اجرس ولا انعس فاخذتني السنة لما رنقت
الالسنة فلم افق الا والليل قد دجا والنجم قد تبلج ولا السروجي
ولا المسرج فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية اساور الوجوم واسامر
النجوم افكر تارة في رحلتي واخرى في رجعتي الى ان وضح لي عند افترار
ثغر الضوء في وجه الجو راكب يخد في الدو فالمعت اليه بثوبي
ورجوت ان يعرج الى صوبي فلم يعبأ بالماعي ولا اوى لالتياعي بل سار
على هينته واصماني بسهم اهانته فاوفضت اليه لاستردفه واستميل
لي عطفه فلما ادركته بعد الاين واجلت فيه مسرح العين
وجدته ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت ان اذريته
عن سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت انا صاحبها ومضلها
ولي رسلها ونسلها فلا تكن كاشعب فتتعب وتتعب فاخذ يلدغ
ويصيء وينق ولا ينبجي وبينا هو يبزو ويلين ويستأسد ويستكين

اذ غشينا ابو زيد لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر
فجفت والله ان يكون يومه كامسه وبدره مثل شمسه
فالحق بالقاطنين واصير اثرا بعد عين فلم ار الا ان اذكرته
العهود المنسية والفعلة الامسية وناشدته الله او اتى اليوم
للتلافي ام لما فيه ابتلائي فقال معاذ الله ان اجهز على مكلومي
او اصل حروري بسمومي بل وافيتك لاخبرك انه حالك والكوكب
يمينا لشمالك فشكر عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي واطلعته
طلع اللقحة وتبرقع صاحبي بالقحة فنظر اليه نظر لبث العرينة
الى الفريسة ثم اشرع قبله الرمح واقسم له بمن انار الصبح لئن لم يبح
منجا الذباب ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن سنانه وريده
وليفجعن به وليده ووديده فسدد زمام الناقة وحاص وافلت
وله حصاص فقال لي ابو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى
الحسنيين وبل اهون من وبلين قال الحارث بن همام فحرت بين لوم ابي زيد
وشكره وزنة نفعه بضره وكانه نوجي بذات صدري
او تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق وانشد بلسان ذليق

يا اخي الجار اضيفني د دنا خواني وقومي اذكرياك انسي فلقد تركت نومي
فاعهوذاك لهذا واطرح شكري ولومي ثم قال اما نبو دابن منتي
وكيف ينفق ثم ولى يفري ادم الارض ويركض طرفه اتمار كض
فما عدوت ان اقعدت مطيتي وجذت لطيتي حتى وصلت الى حلتي

قال العبد الفقير الى الله تعالى لتفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية قوله ترنو ذساني يعني اوله

درايقة وقد يخفف فيقال درنق وقوله اخذ اخذ نفوسهم يعني اقتدى
بهم يقال اخذ اخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة
من الابل والثلة القطيع من الغنم والراغية الابل والثاغية الشاة
ومنه قولهم ماله راغية ولا ثاغية اي لا ناقة ولا شاة وقوله
ارداف اقيال اي يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله ابناء اقوال
اي فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال وقوله ندترت فرسا بمحضارا
العدو اي نوثت على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو
ماخوذ من الحضر وهو العدو وقوله اقرى كل شجراء ومرداء الاقتراء تتبع
الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد

الحلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي الى صلوته يعني به قول المؤذن
حي على الصلوة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من
المصادر الهيللة والحمدلة والبسملة والحسبلة والسبحلة والحوقلة
والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والبسملة حكاية
قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبي الله والسبحلة حكاية
قول سبحان الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحوقلة حكاية
قول لا حول ولا قوة الا بالله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك
وقوله فنزلت عن متن الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب
وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم والصهوة مقعد
الفارس والنجوة الخطوة والجزع قطع الوادي عرضا وقوله صكة
عمي يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في اصله فقيل كان عمي رجلا
مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا
لكل من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر
فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل
عمي كما صغروا اسود وازهر فقالوا سويد وزهير وقوله كان يوما

غزاه طلبه ومنه غزا الكافر طلب الغلبة عليه

اطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف
اليوم القصير بابهام القطاة وابهام الحبارى والعرب تزعم
ان ظل القناة اطول ظل ومنه قول الشاعر

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله اجرى من دمع المقلات والمقلات التي لا يعيش لها ولد ودمعها
ابدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور
باردة ولهذا قيل للمدعو له اقر الله عينه ماخوذ من القر وهو البرد
وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة وقيل ان قر العين
ماخوذ من القرار وكانه دعا له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا يطمح
الى ما لغيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلات اذا وطئت على قتيل
نبيه عاش ولدها والى هذا اشار بشر بن ابي خازم ه

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن الا يلقى على المرء مئزر

وقوله علقن في شعوب يعني المنية ولا يدخل على هذا الاسم اداة التعريف
مثل دجلة وعرفة وقوله اغور حجتهما الى المغرب لان التغوير النزول
للقائلة كما ان التعريس النزول اخر الليل للتهويم والاستراحة

والمغرب بان يصغر المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب
الا ان العرب الحقت اخره الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله مضطبنا
اهبة لحوائجه الاضطبان ان يجعل الشيء تحت ضبنه والاحتضان ان
يجعله تحت حضنه وهو عند الجنب والتجوال مصدر جال وجمع التجوال
التجوالات على تفعال هو بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير
وقوله عجري وبجري يريد جميع امري الظاهر والباطن واصل
العجر العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن
وقوله ولم يقل ايها اي لم يأمرني بالكف يقال للمستزاد ايه وللمستكف
ايها وقوله لامر ما جدع قصير انفه هذا هو في حديث جذيمة الابرش
وكان قصير جدع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه لانه اباها
واوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه
اتهمه انه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحسن بعد
القول عندها حتى جهزته الى العراق مرارا وكان ياتيها بالطرف
منه الى ان استصحب في اخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل
الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة وقوله ولو كان

ابن بوحك يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهي
عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسماء الذكر وقوله شهري
ناجرهما شهر الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابو بكر بن دريد
هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله تبليه نابغة
اومايه الى قول النابغة شعر فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش
في انيابها السم ناقع ه وقوله المعت اليه شوى يعني اشرت
يقال منه المع ولمع بمعنى واحد وقوله يلدغ ويصئي هذا مثل
يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صات العقرب تصيء صيئا وصئا
بكسر الصاد وفتحها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن
الرومي في هذا المعنى ه ه
تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
وقوله تنزو وتلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان
اصله الجدي ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله لا تباجل النمر
هذا المثل يضرب للمتبجح الجري لان النمر اجرا سبع واقل احتمالا للضيم
ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اي صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظ

الاصل في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ
والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر من النمر بن
قاسط وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما
خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذؤيب
في قوله وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل
وقوله الفعلة الانسية هذا من شواذ النسب لان القياس ان يقال
في النسب الى انس انسي بفتح الهمزة وقد كسرها هنا في النسب وقوله
جرى في سموم الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا
وقد يقام احدهما مقام الاخرى مجازا وقوله ليث العرينة يعني ماوى
السبع يقال فيه عرين وعرينة باثبات الهاء وحذفها كما يقال
عرين وعرينة وغاب وغابة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء
وقوله افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى
عليها بعدما كاد يتوى فيها والحصاص العدو وقيل الضراط
وقوله ويل اهون من ويلين هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه
ومنه قول الشاعر وبعض الشر اهون من بعض ه وقوله انا شق

وان مثل هذا المثل نضرب للمتناقضين في الخلق فان التئق
الممتلي غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملاته والمئق هو الكثير
وكان التئق يسرع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا ما حمل له وقوله
لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها طية بالتخفيف وقوله
بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد
لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم على فتحته
الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان
زادت الفا في آخره واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه
فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك
ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما
من اسماء الدواهي وقيل المراد بهما صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون وهي السمرقندية فيها خطبة الجمعة

اخبر الحارث بن همام قال استفزني في بعض اسفاري القند فقصدت
به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط
ارمي عن قوس المراح الى غرض الافراح واستبين من ماء الشباب على سراج

السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فسعيت
وما ونيت الى ان حصلت البيت فلما القيت به قندي وملكت قول عندي
عجت الى الحمام على الاثر واميط عني وعثاء السفر واخذت في غسل الجمعة
ما اثر ثم بادرت في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لاتلو من تقرب
الى الامام وتقرب افضل الانعام فحظيت بان حللت في الحلبة وتخيرت
المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا
ويردون فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفله واطل تساوي
الشخص وظله برز الخطيب في اهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى منبر
الدعوة الى ان مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم قعد حتى ختم
نظم التأذين ثم قام وقال ه الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود
الالاء الواسع العطاء والكريم ومهلك عاد وارم ادرك كل سر علمه
ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهدى كل مارد حوله
احمده حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله
الا الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء معه
ولا مساعد ارسل محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل

وللأسود والأحمر مسدداً وصل الأرحام وعلّم الأحكام ووسم
الحلال والحرام ورسم الإحلال والإحرام كرّم الله محلّه وكمّل الصلاة
والسلام له ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر
حمام وسرح سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء
واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء وازدعوا أهواءكم ردع الأعداء
وأعدوا للرحلة إعداد السعداء وادرعوا جلال الورع وداووا علل
الطمع وسووا أود العمل وعاصوا وساوس الأمل وصوروا لأوهامكم
حؤول الأحوال وحلول الأهوال ومساورة الإعلال ومصارمة
المال والآل واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول
مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه
والمحوا الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلماً وأمرّ
مطعماً وطحطح عرمرماً ودمّر ملكاً مكرّماً همّه سدّ المسامع وسحّ
المدامع وإكداء المطامع وإرداء المسمع والسامع عمّ حكمه
الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحساد والأساود
والآساد ما سوّل الآمال وعكس الآمال ولا وصل الأوصال

وكلم الأوصال ولا سرّ الأوداء ولوّم وأساء ولداً أهمّ الأولاد
الألدّاء وردع الأوداء الله الله رعاكم الله إلام مداومة اللهو
ومواصلة السهو وطول الإصرار وحمل الآصار واطّراح كلام
الحكماء ومعاصاة إله السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم
أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم
والساهرة موردكم أما أهوال الطامة مرصدة أما دار العصاة
الحطمة الموصدة حارسهم مالك ورداؤهم حالك وطعامهم السموم
وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد
ألا رحم الله امرأً ملك هواه وأمّ مسالك هداه وأحكم طاعة
مولاه وكدّ لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعاً والدهر
موادعاً والصحة كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم
المرام وحصر الكلام وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدوّ الحواس
ومراسم الرماس آهاً لها حسرة ألمها موكّد وأمدها سرمد
ومما رسمها مكمد ما لولهه حاسم ولا لسدمه راحم ولا لما
عراه عاصم ألهمكم الله أحمد الإلهام وردّاكم رداء الإكرام



واحلّكم دار السلام وآتاكم الرحمة لكم ولأهل ملّة الإسلام
وهو اسمح الكرام والمسلّم والسلام قال الحارث بن همام
فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسًا بغير نقط دعاني الإعجاب
بنمطها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب فأخذت أتوسّمه جدًّا
وأقلّب الطرف فيه مجدًّا إلى أن وضح لي بصدق العلامات
أنه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بدّ من الصمت في ذلك الوقت
فأمسكت حتى تحلّل من الفرض وحلّ الانتشار في الأرض وجئته
تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خفّ في القيام وأحفى في الإكرام
ثم استصحبني إلى داره وأودعني خصائص أسراره وحين انتشر
جناح الظلام وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام مفغومة
بالفدام فقلت أتحسوها أمام النوم وأنت إمام القوم فقال صه
أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيب فقلت والله ما أدري أأعجب
من تسلّيك عن أناسك ومسقط رأسك أم من خطابتك مع أدناسك
ودوران كاسك فأشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني شعر
لا تبك إلفًا نائيًا ولا دارا ودُر مع الدهر كيف ما دارا

بادرت

ملعونة

واتّخذ الناس كلّهم سكنًا ومثّل الأرض كلّها دارا
واصبر على خلق من تعاشره ودارِه فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما تدري أيومًا تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمن لا تزال قابضة ما كرّ عصر الجديد وما دارا
وكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج كسرى منه ولا دارا
قال فلما لعبت الكؤوس وطربت النفوس جرّعني اليمين الغموس
على أن أحفظ عليه الناموس فاتّبعت مرامه ورعيت ذمامه ونزّلته
منزلة الفضل وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك
دأبه ودأبي إلى أن نهد إيابي فودّعته وهو مصرّ على التدليس
ومسرّ حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن انتجع
أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنًا ولا أملك فيها
مسكنًا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمّة
السوداء قادني الحظ الناقص والجدّ الناكص إلى خان ينزله شذّاذ

مخازي

الرفاق واختلاط الرفاق ولنظافة مكانه وظرافة بكائه
يرغب الغريب في إيطانه ويُنسيه هوى أوطانه فاستفردت
منه بحجرة ولم أنافس في أجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خط
حرف حتى سمعت جاري يقول لنزيله في البيت قم يا بني
لا يعدم جدك ولا قام ضدك واستطبخ ذا الوجه البدري
واللون الدري والأصل النقي والجسم الشقي الذي قص ونشر
وشجر وشهر وسقي وفطم وأدخل النار بعدما لطم ثم أدني
إلى السوق بركض المشوق فقايض به اللالي الملبح المفسار المبلج
المكحل المعزج المعنى المروج ذا الزفير المحرق والحنين المشرق
واللفظ المقنع والسيل الممتع الذي إذا طرق دعا وبرق وباح بالحرق
ونفث في الحرق قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق إلا صدر الصادر
برز في يمين وما معه أيسر فرامه عضلة تلتف بالعقول وتغرى بالدخول
في الفضول فانطلقت في إثر الغلام لأختبر فحوى الكلام فلم يزل
يسعى سعي العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى عند الرداح
إلى جارة القداح فناول بائعها رغيفا وتناول منه حجرا لطيفا

القداح

فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت أنهما سر وحشة وإن لم أسأل
وما كدت أن بادرت إلى الخان منطلق العنان لأنظر كيف ينحي
وهل قطن في الدكان سهمي فإذا أنا بالقراية فارس وأبو زيد
بوصيد الخان جالس فتهادينا تشري إلا التقاء وتقارضنا لحمة الأصدقاء
ثم قال ما الذي نابك حتى زار جنابك فقلت دينه هاجر وجوز
فاضر فقال والذي أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر من الأكمام
لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم المعوان والله المستعان
وكيف أفلت وعلى أي صفيك أجفلت فقال اتخذ الليل قميصا وأدلج
فيه خميصا فأطرق ينكت في الأرض ويفكر في ارتياد القرض والقرض
ثم اهتز هزة من اكتسب قنصا وبدت له فرصة وقال قد علق بقلبي
أن تصابر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف أخرج عن عذ
ذلك ومن الذي يرغب في ضل يرضى فقال أنا المشير لك إليك ولو أكل
لك وعليك مع أرذل القوم خبز الكسير ذلك الأسير واحترام
العشير واستنصاح المشير إلا أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم
أو جبلة بن الأيهم لما زوجوه إلا على خمسمائة درهم اقتداء بمهر الرسول

وجاهه وعقد به أنكحة سارية على أنك لن تطالب بصداق ولا نحلة
ولا طلاق ثم إني سأخطب في موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم يفترعها
ذو سمع ولا خطب بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فازدهاني بوصف
الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت إليك
هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا
وقال أبشر بإعتاب الدهر واجتلاب الدر فقد ولي العقد وكفلت
النقد وكأن قد ثم أخذ في مواعدة أهل الحاضر وإعداد جلواء الحوان
فلما مد الليل أطنابه وأغلق كل ذي باب بابه أذن في الجماعة
ألا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم إلا من لبى صوته وحضر بيته
فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع
الامطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه إلى أن نعس القوم وعسى
النوم فقلت له يا هذا أضع الفأس في الرأس وخلص الناس فنظر نظرة
في النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور
ليكشفن سر هذا الأمر المستور ولينشرن ذكره إلى يوم النشور ثم إنه
جثا على ركبته وابتدر على الأسماع لخطبته وقال خطبة النكاح

الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل
كل مطرود ساطح المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار
ومسهل الأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك
ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها
عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السؤل والأمل
وأوسع المرمل والأرمل أحمده حمدا ممدودا مداه وأوحده كما وحده
الأواه وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه
أرسل محمدا علما للإسلام وإماما للحكام ومسددا للرعاع
ومعطلا أحكام ود وسواع علم وأعلم وحكم وأحكم وأصل
الأصول ومهد وأكد الوعود وأوعد أوصل الله له الإكرام
وأودع روحه دار السلام ورحم آله وأهله الكرام ما لمع آل وملع آل
وطلع هلال وسمع إهلال اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك
الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الأرحام
وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها وصاهروا لحم الصلاح والورع
وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار مولدا وأسراهم

سوددا واولهم موردا واصحهم موعدا وها هو امّكم وحلّ
حرمكم مملّكا عروسكم المكرّمة وما مهرها كما مهر الرسول
ام سلمة وهو اكرم صهر اودع الاولاد وملّك ما اراد وما سها
مملّكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم اسال الله احماد
وصاله ودوام اسعاده والهم كلّا اصلاح حاله والاعداد
لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمّد ● فلما فرغ من خطبته
البديعة النظام العرية من الاعجام عقد العقد على الخمس المائين
وقال لي بالرفاء والبنين ثم احضر الحلواء التي كان اعدّها وابدى
الآنية عندها فاقبلت اقبال الجماعة عليها وكدت اهوي بيدي
اليها فزجرني عن المواكلة وانهضني للمناولة فوالله ما كان باسرع
من تصافح الاجفان حتى خرّ القوم للاذقان فلما رايتهم كاعجاز نخل
خاوية او صرعى بنت خابية علمت انها احدى الكبر وام العبر
فقلت له يا عديّ نفسه وعبيد فلسه أأعددت للقوم حلوى
ام بلوى فقال لم اعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت اقسم بمن
اطلعها زهرا وهدى بها السارين طرّا لقد جئت شيئا نكرا

40

واتيت لكبرى المخزيات ذكرا ثم جزت فكرة في صغو بابه
وخيفة من عدوى عرّه حتى طارت نفسي شعاعا وارعدت
فرايصي ارتياعا فلما راى استطارة فرقي واستشاطة قلقي
قال ما هذا الفكر المرمض والروع المومض فان يكن
فكرك في اجلي من اجلي فانا الآن ازيغ واطفو واقوى هذه البقع
مني واقوم وكم مثلها فارقتها وهي تشبعر وان يكن نظرا
لنفسك فحذار من خشية تنال فضالة الخبيص وطب نفسا عن
القميص حتى يامن المستعدي والمعدي ويتمهّد لك المقام
والا فالمغرم المغرم من قبل ان تنجد وتحرم ثم عمد لاستخراج ما في البيوت
من الاكياس والتخوت وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ويجنب كل
مدبوغ وموزون حتى عاد بما الفاه نحه كقطر استخرج محه
فلما هم بما اصطفاه وزمّ وشمّر عن ذراعيه وتحزّم اقبل عليّ
اقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة
الى البطيحة لاصلك باخرى مليحة فاقسمت له بالذي جعله
مباركا اينما كان لم تجعله ممن خان انه لا يبدل لي بنكاح

جريين ومعاشرة ضربين ثم قلت له قول المتطبع بطاعة الكاذب
لدى بضاعة قد كفتني الاولى نجرا فاطلب آخر للاخرى فتبسم من
كلامي ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وابديت له ازوراري
فلما ابصر انقباضي وتجلى له اعراضي انشد شعر

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف ومعنفي في فضح من جارت بحيف الحروف
لا تلحني فيما أتيت فانني بهم عروف ولقد نزلت بهم فلم ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف ما فيهم الا مخيف ان تمكن او مخوف
لا بالصنيع ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف وحكمت فيما اقتنوه يدي ومهم
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف ولطالما خلفت مكلوم الجوانح باللهوف
ومنوت بالادراك والاتراك والسجوف ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الاسد فيه من الوقوف ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى الوف
ولكم اركاض موبق في الذنوب وكم خفوف لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرءوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار والظ بالاستغفار
حتى استمال لهوى قلبي المتحرج ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف

ثم انه غيض دمعه المنهل وتابط جرابه وانسل وقال لاخيه
اخبتك لبابي والله لو اني قال المخبر بهذه الحكاية فلما
رأيت انسياب الحية والحية وانتهاء الداء الى الكية علمت ان ترنحي
بالحاز مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذلولي ثم لويت ليلي
اثري الى الطيب واحتسبت الله على الخطب

المقامة الثلثون

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت
من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض
ومالك رفع وخفض تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم
الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة
واغرورقت ظهر ابن النعامة واجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها
بعد معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان
بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينا انا يوما اجوب وتحتي
قرن قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت
لانتجاع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما المقصد
فاملاك مشهود فحدتني منعة النشاط على ان تبع الفراط لاحوز

بحلاوة اللقاط واجوز حلواء السماط فانصبا بعد مكابدة العناء
الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء
فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رأيت دهليزها
مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهناك شخص على
قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة وبراني هذه
البدعة الطريفة ودعاني النظر بتلك المناحل الى ان عدت
لذلك الجالس نعزمت عليه بمصرف الاقدار لتعرفني من رب هذه
الدار فقال ما لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هي مصطبة
المقتفين والمدزوزين ولجة المتشقشقين والمجلوزين نعلت في
نفسي انا لله على ضلة المسعى وانمحال المرعى وهممت في الحال بالرجعى
لكني استمحت العود من فوري والقهقرة دون غيري فولجت الدار
متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا فيها ارائك منقوشة
وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وبخوز مرصوفة وقد اقبل
المملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته فحين جلس كانه ابن ماء
السماء نادى منادٍ من قبل الاحماء وحرمة ساسان استاذ الاستاذين

ونذوة الشحاذين لا عقد هذا العقد المبجل في ذا اليوم الاغر
المحجل الا الذي جال وجاب ودب في الكدية وشاب فانجب
رهط الصهر ما اشاروا اليه واذنوا في احضار المنصوص عليه
فبرز حينئذ شيخ قد انحنى الملوان قامته ونور القتير هامته فتبارزت
الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس في زربيته
وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده
قال خطبة النكاح الحمد لله المبتدي بالافضال المبتدع
للنوال المتقرب اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكوة
في الاموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر وامر باطعام
القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو
اصدق القائلين والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم احمده
على ما رزق من طعمة هنية واعوذ به من استماع دعوة بلا نية واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله يجزي المتصدقين والمتصدقات
ويمحو السيئات ويربي الصدقات واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله
الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الاغنيا

ولم

ورفق صلوات الله عليه بالمساكين وخفض جناحه للمستكينين وفرض
الحقوق في اموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه
صلوة تحظيه بالزلفة وتعلي اصفياءه اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى
شرع النكاح ليتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه وتعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبايل لتعارفوا وهذا ابو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه
الوقاح والافك الصراح والهر والصياح والابرام والالحاح يخطب
سليطة اهلها وشريطة بعلها قنبس بنت ابي العنبس لما بلغه من التحافها
بالحافها واسرافها في انفاقها وانكماشها على معاشها وانتعاشها
عند هراشها وقد بذل لها من الصداق ثلاثا وعكازا ووصفا عاد كرازا
فانكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم واساله ان يكثر في
المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم • فلما فرغ الشيخ
من خطبته وابرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما جاوز حد
الاكثار واغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يجر ذلاذله

ويقدم اراذله قال الحارث بن همام فتبعته لانظر عرجة القوم
واكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط ربتت طهاته ونافس
في الحسن جهاته فحين ربع كل شخص في ربضه وطفق يرتع في روضه
انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة الي
ونظرة هجم بها طرفه علي فقال لي الى اين يا لوم هلا عاشرت معاشرة
من فيه كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا
لست ذواقا او تخبرني اين مدب صباك ومن اين مهب صباك فتنفس
الصعداء مرارا وارسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع واستنصت
الجمع قال لي اسمع   شعر

مسقط الراس سروج وبها كنت اموج بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها المروج وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج وازاهير رباها حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج ولمن ينزاح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ اخرجني عنها العلوج عبرة تهمي وشجو كلما فتر يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج ومساع في البرح قاصرات الطرف عوج

لست بوسعي حتى تأجج لي عزم الخروج قال الحارث بن همام فلما سر
بلده ودعت ما انشره ايقنت انه علامتنا ابو زيد وان كان الهرم
قد ازرى به بعد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته من صحفته
وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه واختوص فوق من درر الفاظه
الى ان نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون وهي باب الحج

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش
اللباب اقلي الاكنان بالغاب واهوى الانداد لاق من القراب
ولعلمي ان السفر ينتج الظفر ومعاقرة الوطن بعقر الفطن ويخفر
من وطر فاجلت قداح الاستشارة واقدحت زناد الاستخارة ثم استحثثت
جانبا انس من الحجارة واصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت
بالرملة والقيت بها عصا الرحلة صادفت ركابا تعد للسرى
ورجالا تشد الى ام القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوق
الى البيت الحرام فزممت ناقتي وبدرت علقي وعلاقتي
وقلت للائمي اقصر فاني ساختار المقام على المقام

وانفقوا ما جمعت بارض جمع واشتغلوا بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل والى الخير
جري الخيل فلم نزل بين ادلاج وتاويب واحاف وتقريب الى ان حبسنا
ايدي المطايا بالجحفة في ايصالنا الى الجحفة فحللناها متاهبين
للاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يك الا ان اخنا الركائب وحططنا
الحقائب حتى طلع علينا من بين الهضاب شخص ضاحي الاهاب وهو ينادي
يا اهل ذا النادي هلم الى ما ينجي يوم التنادي فانخرط اليه الحجيج
وانصلتوا واحتفوا به وانصتوا فلما راى تاثفهم حوله واستطاعتهم
قوله تسنم احدى الاكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال
يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج اتعقلون ما تواجهون والى من
توجهون ام تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون اتخالون ان الحج
هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وانضاء الزوامل
ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان وانضاء الابدان ومفارقة
الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة
قبل اجتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك البنية ومحاض الطاعة

عند وخد الاستطاعة واصلاح المعاملات قبل اليعملات
فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد السالك في الليل الحالك
ما ينفع الاغتسال بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا يجدي تعرية
الاجسام بعينها الإحرام ولا تغني لبسة الإحرام عن التلبس بالحرام
ولا ينفع الاضطباع بالإزار مع الاضطلاع بالأوزار ولا يجدي
التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير
درن التمسك بالتقصير ولا ينفع بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو
بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام إلا من استقام ولا يحظى
بقبول الحج من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه إلى الصفا
وورد شريعة الرضا قبل شروعه في الأضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع
ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته
بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد شعر
ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تغني به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات
أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مأثم الفوات وإذا وافيت
في رحلة أو حللت بحلة مرجت بصوت الداعي إليها وأقررت
بمن يحافظ عليها فاتفق حين دخلت تفليس أن صليت مع مفاليس
فلما قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة فقال
عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوق در العصبية إلا ما تكلف
لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل
والرد فتعقد له القوم الحبى ورسوا أمثال الربى فلما آنس حسن
إنصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار الرامقة والبصائر
الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبي عن النار الدخان
شيب لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد
كنت والله ممن ملك ومال وولي ووال ورفد ونال
ووصل وصال فلم تزل الجوائح تنحت والنوائب تنتحي حتى الوكر
قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية تضاغى
من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن

واستشف اكثر الدفائن الا بعد ما شقيت ولقيت وشئت اليقين
فليتني لم اكن بقيت ثم تأوه تأوه الاسيف وانشد بصوت ضعيف
شعر أشكو الى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه



وحاجات قرعت مروتي وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من تهتصر الاحداث اغصانه
وامحلت ربعي حتى خلت من ربعي الممحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا اكابد الفقر واشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة يسحب في النعمة اردانه
يختبط العافون اوراقه ويحمد السارون نيرانه
فاصبح اليوم كان لم يكن اعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يجبر ما يرى من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه ويصلح الشان الذي شانه
قال الراوي فصبت الجماعة ان تستنبئه لتستشف خبيئته وتستقص
حقيبته وقالت له قد عرفنا قدر زنتك ورأينا در مزنتك فعرفنا

فقالت

دوحة شعبتك واخبر اللئام عن نسبك فاعرض اعراض من مني
بالاعنات واشار بالبنان وجعل يلعن الحضروات وسلف
من تقبض المروات ثم انشد بلفظ صادع وحزن خادع شعر
لعمرك ما كل فرع يدل جناه الذكي على اصله
فكل ما حلا حين تؤتى به ولا تسأل الشهد عن نحله
وميز اذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصر من رجله
لتعلو وترخص عن خبرة وتشري كلا تري مثله
فعار على الفطن اللوذعي دخول الغميزة في عقله
قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم بحسن ادائه
مع دائه حتى جمعوا له خبايا المخبر وخفايا المئزر وقالوا له ما صلنا
انك جئت على ذكية بكية وتعرضت لحلية خلية فخذ هذه الصبابة
وهبنا ما لا خطأ ولا اصابة فنزل قلهم منزلة الكثر ووصل تقو
بالشكر ثم ولى يجر شقه ويهيب بالخبط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية
فصور لي انه مجيل الحلية متصنع في مشيته فنهضت انتجه مناجحه واقفوا
ادراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى اذا خلا الطريق

وانكفى الشيخ يتطلع نظر من هش وبش وما حصل بعد ما غبر
وقال انى لاخالك اخا غربة ورائد صحبة فهل لك فى ذوى برّ
بك ويرثى ويشفق عليك ويشفق فقلت له لو اتانى هذا الرفق لوافانى
التوفيق فقال لى قد وجدت فاغتبط واستكثر منه فابسط ثم ضحك مليا
وتمثل لى ... فاذا هو شيخنا السروجى لا مرية فى جسمه ولا شبهة
فى وسمه فعرفت بلقيته وكذب لقوته وهممت بملامته على شنوع مقامه
فتحاجاه وانشد قبل ان يحاجيه شعر

طربت لكيما يقال فقير يرجى الزمان المرجى
واظهرت للناس ان قد فلجت فكم نال قلبى به ما ترجى
ولولا الزمانة لم يرث لى ولولا التفالج لم الق فلجا

ثم قال انه ليس بسارة الارض مرتع ولا فى اهلها مطمع فان كنت الرفيق
فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين وترافقنا عامين متجردين وكنت على
ان اصحبه ما عشت فابى البرم المشتت

المقامة الرابعة والثلاثون فى بيع الغلام

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيدا الى زبيد صحبنى غلام كنت ربيته

الى ان بلغ اشدّه وثقفته حتى اكمل رشده وكان قد الف
اخلاقى وعرف مجارى وفاقى فلم يكن يتخطى مرامى ولا يخطى
فى المرامى لا جرم انه قربه البساط بسفرى واخلصته لحضرى
وسفرى فالوى به الزمن المبيد حين ضمنا زبيد فلما سالت نعامته
وسكنت نامته لبثت عاما لا اسيغ طعاما ولا ابيع غلاما حتى
اجتنى شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة الى ان اعتاض
من الذر الخرز وارتاد من بوس ادم من عوز فقصدت من بيع
بسوق زبيد وقلت ابد عندا نجيا اذا قلّ مجدا اذا اجرب وليكن
ممن خرجه الاكابر واخرجه الى السوق الا فالاس فاهز كل منهم بمطلبى
ودونت وبذلت تحصيله عن كثب دارت الاهلة ودورها وتقلبت كورها
وجورها وما احن من عود ولا عد ولا سنح لها رغد فلما دار التخاسير
ناسيا ومناسيا علمت ان ليس كل من خلق تغرى وان لن يحك جلدى
مثل ظفرى فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفو والسفر
وانى لاستعرض الغلمان واستعرف الاثمان اذ عارضنى رجل قد اختطم
بلثام وقبض على زند غلام وقال

الرجز

أتشتري مني غلاما صنعا في خلقه وخلقه قد برعا
يكل ما نطت به مضطلعا إن قال لا قال وإن قلت دعا
وإن تصبك عثرة يقل لعا وإن تسمه السعي في النار سعى
وإن تصاحبه ولو يوما رعى وإن تقنعه بطلف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جمعا ما فاه قط كاذبا ولا
ولا أحاف مطمعا حين دعا ولا استباح سر أو دعا
وطالما أبدع فيما صنعا ووفق في النثر وفي النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا فلما تأملت خلقه القويم وحسنه
الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك
كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته
من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة
ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت قبحا لعيك وشبحا فافتر
الضحك وللخدم الغض رأسه إلى أن أنشد
يا من يلهب غيظه أن لم أبح باسمي له ما هكذا من ينصف

إن كان لا يرضيك إلا كشفه فأصخ له أنا يوسف أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطا فإن تكن فطنا عرفت ولا إخالك تعرف
قال فسرى عني بشعره واستبى لبي بسحره حتى شدهت عن التحقيق
وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن لي هم إلا استامة مولاه
فيه واستطلاع طلع الثمن لأوفيه وكنت أحسب أنه سيشط شططا إلى
ويغلي السيمة علي فما حلق إلى حيث حلقت ولا اعتلق بما به اعتلقت
بل قال إن العبد إذا نزرت قيمته وخفت مؤونته تبرك به مولاه ونجح
عليه هواه وإني لأوثر تحبيب هذا الغلام إليك بأن أخفف ثمنه
عليك فزن مائتي درهم إن شئت وأنكر ما جنيت فنقدته المبلغ في الحال
كما ينقد في الرخيص الحلال ولم يخطر لي ببال أن كل رخيص غال
فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة همل غيثا الغلام ولا همول
دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال
لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الإنصاف أني أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

أما حرمتني فخرت مني نصائح لم تمازجها خداع
وكم أرصدت تشرك للصيد فعدت وفي حبائلي الرتاع
ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان لها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبلت في الأيام جرما فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم أو يذاع
فأنى ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت براثنها الضباع
ولم سمحت قريحتك بامتهاني وأن أشرى كما تشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فلا يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فلما وعى الشيخ أبياته وعقل منها غاياته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال إني أجل هذا الغلام بمحل ولدي ولا أميزه عن أفلاذ كبدي ولو لاحظوا مراحي وخبو مصباحي لما درج

عن عشي إلى أن تشيع بنعشي وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين والمؤمن هين لين فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه بأن تهبه على الإقالة متى استقلت وإن لم تستقلني إذا استقلت ففي الآثار المستفادة المروية عن الثقات من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته قال الحارث بن همام فوعدته وعدا أنزره الحياء وفي القلب أشياء فاستدنى حينئذ الغلام إليه وقبل ما بين عينيه وأنشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فقد تكد النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والإشفاق
فما تطول مدة الفراق ولا بد لكأس التلاق

بحسن عود العاقد الحلاق ثم قال له أستودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما انقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عولت فقلت أظن فراق مولاك هو الذي أبكاك فقال إنك لفي واد وأنا في واد ولكم بين مريد ومراد ثم أنشد

لم أبك والله على ألف نزح ولا على فوت نعيم وفرح

المدونة ٦
ابرزه ٦
قلبي ٦

وانما مزّقه اخفاني نبغ على غيّ لحظه حين طمح
وربطه حتى تعنّى وافتضح وضاع المنقوشة البيض الوضح
وبكذا ما ناجتك ها تلك الملح بانني حرّة وبعلي لم يسمح
اذ كان في يوسف معنى قد وضح فمثلت مقالة في مرآة المداعب
ومعرض الملاعب فجعلت تصلت المحيّا وتبرأ من طينة الزق فحللنا في محاصم
انفصلت لملاكمة وافضنا الى محاكمة فلما اوضحنا للقاضي الصورة
وتلونا عليه السورة قال الا ان من انذر فقد اعذر ومن حذّر
كمن بشّر ومن بصّر فما قصّر وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا العالم
قد تهتّككما فارعويت ونصح لكما فما وعيت فاستر دابلهك واكتمه
ولم نفسك ولا تلمه واحذر من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فانه
حرّ الاديم غير معرّض للتقويم وقد كان ابوه احضره امس قبل
افول الشمس واعترف بانه فرعه الذي انشاه وان لا وارث له
سواه فقلت للقاضي اوتعرف اباه اخزاه الله فقال وهل تجهل ابو زيد
الذي جرحه جبار وعنده كل قاض له اخبار واخبار فتحرقت حينئذ
وجولقت وافنت ولكن حين فات الوقت والفت ان لنا ثمّه كان

شرك مكيدته وبيت قصيدته وكسر طرفي حالفي والت
ان لا اعامل ملثّما ما لقيت ولم ازل اتاوّه لخسر صفقتي وانفضاح
بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي وجراد بماضي ما هذا
ماذهب من مالكما وعظكما ولا اجرم اليكما من ايقظكما فاتعظا
بما نابكما وكاتما اصحابكما ما اصابكما وتذكّرا ابدا ما دهمكما
لينفع الذكرى ويدرأ همكما وتحلّوا بحلق من اسلي قصبه وحللته الغبن
فاعتبر فودّعته لابسا ثوب الخجل والخزي ها جبا ذيل العتو والعجز
ونويت مكاشفة ابي زيد بالهجر ومصارمته مدى الدهر فجعلت ابتكت
عن ذراه واتجنب ان اراه الى ان غشيني في طريق ضيق فحياني تحية شيق
فمازدت على ان عبست وما بسمت فقال اما بالك شمخت بانفك على الفد
فقلت اانسيت انك اخجلت وخجلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاغرطني
منهارنا ثم انشد ملافيا شعر
يا من يدلّ منه صدود موحش وتجهّم وغدا يريش ملاما ويبرد الاسهم
ويقول هل حرّ يباع كما يباع الادهم اقصر فما انا فيه بدعا مثل ما تتوهّم
قد باع الاسباط قبلي يوسفا وهم هم هذا واقسم بالتي يسري اليها المتيم

والطائفين بها ومن شعث النواصي لهم ما فتحت لك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم ثم قال أما معذرتي فقد وضحت
وأما داري بك فقد طاحت فإن كان اقشعرارك مني وازورارك عني
لفرط شفقتك على غير نفسك فلست ممن يلسع مرتين ويوطئ جحرين وإن كنت
طويت كشحك وأطلقت شحك لتستنقذ ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي
قال الحارث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عذرت
له صفقتا وبه جفيا ونبذت فعلته ظهريا وإن كانت شيا فريا

المقامة الخامسة والثلاثون

روى الحارث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد
يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعديه ولا تخطت
قدمي في تخطيه فعجت إليه لأسبر جوهره وأنظر كيف ثمره من زهره
فإذا أهله أفراد والعائج إليه مفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب
من الأغاريد وأطيب من جنى العناقيد إذ جثم بنادينا ذو طمرين
قد كاد يناهز العمرين فحيى بلسان طلق وأبان بيانه منطيق ثم احتبى
حبوة المستندين وقال اجعلنا اللهم من المهتدين فازدراه القوم

لطمريه ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا يتداعون فصل الخطاب
ويتعادون عوده من الأخطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا يوضح
عن سمة إلى أن سبر قرائحهم ونفد سائلهم وراجحهم فحين استخرج
دفائنهم واستثار كنائنهم قال يا قوم لو علمتم أن وراء الفدام
صفوة المدام لما احتقرتم ذا الأخلاق ولقلتم ما له من خلاق
ثم فجر من ينابيع الأدب والنكت النخب ما جلب بدائع العجب
واستوجب أن تكتب بذوب الذهب فلما اختلب كل خلب وقلب
إليه كل قلب تحلحل للرحل وتأهب للذهب فتعلقت الجماعة بذيله
وعاقت مسرى سيله وقالت له قد أدريتنا دينك فأخبرنا عن
نسبك ومحلك فصمت صمت من أفحم ثم أعول حتى رحم قال الراوي
فلما رأيت سروب ذي زيده وزينه واستلويته المألوف وصوبه تأملت الشيخ
على سهومه محياه وسهومه رناه فإذا هو أبو زيد فكتمت سره كما
يكتم اللذ الدخيل وسترت مكره وإن لم يكن يحل حتى إذا نزع
عن إعواله رق له وعرف عذوري على حاله رمقني بعين مضحكا ثم أنشد
بلسان ضاحك استغفر الله وأعوله من قطار انقلطرية السريع

يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الاوصاف في الانديه

قتلتها لا اتقي وارثا يطلب مني قودا او ديه

وكلما استمذنت في قتلها اخلت بالذنب على الاقضيه

ولم تزل نفسي في غيها وقبلها الابكار متشربه

حتى نهاني الشيب لما بدا في مفرقي عن ركلم المعصيه

فلم ارق مذ شاب فودي دما من عاتق يوما ولا معصيه

وها انا اليوم على ما ترى مني ومن حرفتي المكديه

ارب بكر اجال تعنيسها وبخنها حتى عن الاغويه

وهي على التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المغنيه

وليس يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون الامنيه

والبذ لا تركى على درهم والارض فقر والسما مضحيه

فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالقينة الملهيه

فيغسل الهم بصابونه والقلب من افكاره المضنيه

ويقتني مني الثنا الذي يضوع رياه مع الادعيه

قال فلم يبق في الجماعة الا من ندت له كفه وانساغ اليه عرفه



فلما نجحت بغيته وكملت منته اخذ يثني عليهم بصالح ويشمر عن ساق وساعد قال الحارث بن همام فتبعته لاستبرئ دخيلة خبره

ومن قبل في جدتان امره فكان دنك تبامي مثل له مبرأي

فازدلف مني وقال افقه عني

قل لمثلي يا صاح مزج المدام ليس قلبي بل نهدم اجسام الجسم

والتي عنست هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

ولتجهيزها الى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومقامي

فتفهم ما قلته وتحكم في التغاضي ان شئت او في الملام

ثم قال انا عبيد واسرع عبيد وبيننا بون بعيد ودعني وانطلق

وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلثون وفيها الالغاز

روى الحارث بن همام قال الحقت بملطية ملطية اللين وحقيبتي ملأى

من العين فجعلت هجيرى مذ القيت بها عصاي ان ارتاد موارد المرح

واتصيد شوارد الملح فلم يغنني بها منظر ولا مسمع ولا اخلا مني

ملعب ولا مرتع حتى اذا لم يبق لي فيها مأرب ولا في التوائها منزع عدت

لاتفاق الذهن في اتباع الأهب فلما اكملت الاعداد وتهيأ
القطعن منها او كاد رايت تسعة رهط قد سبأوا قهوة وارتبأوا دنه
ودما بينهم قذى الالحاظ وذكاهم جلوة الالفاظ فنحوتهم
طلبا للمنادمة لا للمدامة وشغفا بممازحتهم لا بمراحتهم فلما
انتظمت عاشرهم واصبحت معاشرهم الفيتهم ابنا علّات وقذائف
فلوات الا ان لحمة الادب قد الّفت شملهم الفة النسب وساوت
بينهم في البر حتى لحجوا مثل كواكب الجوزاء وكالجملة المتناسبة بدوا
الاجزاء فانبجت لاهتدائي اليهم واجهرت الطالع الذي اطلعني
عليهم وطفقت افيض بقداحي مع قداحهم واستنشي برياحهم لا براحهم
حتى اذ ما تحرّوا المقاوضة الى التحاجي بالمقابضة كقولك اذا اعنت
به الكرامات ما مثل النوم فات فانشأنا نجلو البهى والقمر ونحي السول
والتمر وبينا نحن ننشر القشيب والبرث وننثل السمر والغث طلع علينا
شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقي خبره وبشره فمثل مثول من يستمع
وينظر ويلتقط ما ينثر الى ان نفضت الاكياس وحصحص اليأس فلما رأى
اخال القرائح واكدآء الماتح والمائح جمع اذياله وولّى نافرًا له
قال

وقال يا ما كل سودا تمرة ولا كل صهبا خمرة فاعتلقنا به اعلاق
الحربآ بالاعواد وضربنا دون رحمته بالاسداد وقلنا له ازددآ
الشرّ ان تحاجر وانا فالقصاص القصاص ولا نطمع في ان تخرج و
العقود تترجح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راجعا وقال
اما اذا استشرتموني بالبحث فساخبركم خبر سلمان في الحرث
اعلموا يا ذوي الشمائل الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاحجية
لامتحان الالمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها ان تكون
ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة ادبية فمتى نافت هذا
النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم ادركم حافظتم على هذه
الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت فكل لنا
من لبابك وافض علينا من عبابك فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون
ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناظورة القوم وقال

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي امد بسراد
يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي اجابته عين

ثم لحظ الثالث وانشد يا من نتايج فكره مثل النقود الجايزه
ما مثل قولك للذي جاءتك صاد دون جايزه

ثم التفت الى الرابع وقال ايا مستنبط الغامض من لغز واضمار
الا اكشف لي ما مثل تأول الفتى دينار

ثم انبرى للخامس وانشد يا ايها الالمعي اخو الذكاء المتجلي
ما مثل انعم حليه بمن هويت وعجل

ثم التفت الى السادس وقال يا من يقصر عن مداه خطى مجاريه ويضعف
ما مثل قولك للذي اضحى يجاحدك الكف الكف

ثم عاج الى السابع وقال يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت
بين فما زلت ذا بيان ما مثل قولي للسفن اقلت

ثم استنصت الثامن وانشد يا من جنى ابن فضله مظلوله لا زهار غضه
ما مثل قولك للمحاجي في الحجى ما اختار فضه

ثم خاطب التاسع جهرا وقال يا من يشار اليه في الفضل الذكي وفي البراعه
اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دير جماعه

قال الراوي فلما انتهى الى ثمن منكبي وقال

يا من لفظ الرشحات التي تسبي الخصوم بها وتلك آيات المبرزين فقد اتى
ما مثل قولي حالي اسكت ثم قال قد انظرتكم وامهلتكم وان شئتم
ان اعلكم عللتكم قال فالجانا التهاب الغلة الى استسقاء العلة
فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا ممن يمتن في ديمه ثم كر على الاول
وقال يا من اذا اشكل المعمى جلته اذكاره الدقيقه
ابن فلا زلت للاحاجي خدن بكر ما مثله حقيقه

ثم نحا نحو الثاني وقال يا من بدا بانه عن فضله منبيا
ماذا مثال قولهم جماد وخبر زينا

ثم اوحى الى الثالث بلحظه وانشد يا من غدا في فضله وذكائه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي جاءتك انف تقمع ثم جلا الى الرابع وقال
يا من اذا ما عويص دجا انار ظلامه
ماذا مثال قولي استنسخ مدامه

ثم اومض الى الخامس وقال يا من تبريه فهمه عن ان يروى او يشكا
ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي غط هلكى ثم اقبل على السادس وانشد
يا اخا الفطنة التي بان فيها كماله سار بالليل مدة اي شيء مثاله

يحاجيه ثم نحى بصره الى السابع وقال

يا من تحلى بفهم اقام في الناس سوقه

لكل البيان فتى ما مثل اجنب فرزدقه

ثم قصد قصد الثامن وقال يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروه

ما مثل قولك عظ ازيقا بلوح بغير عروه ثم ابتسم الى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي

ثم قبض بجمعه على ذي ذي وقال يا من سمى شعوب فطنته في المشكلات وتزكو

ماذا امثال لصغر جعله بينها نابثه به قال الراوي فلما اطربنا

بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان

ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان اثنت مننت وان كتمت غممت

فظل يساور نفسه ويقلب جبينه حتى هان بذل ما عز عليه

فاقبل حينئذ على الجماعة وقال لساعدكم ما لم تكونوا تعلمون

ولا ظننتم انكم تعلمون فاذكوا عليه الادعيه ورضوا به الابنيه

ثم اخذ في تفسير صقل به الاذهان واسترع معه الاذان

حتى اضات الافهام انور من الشمس والاكمام كان لم تغن

بالامس ولما هم بالتحول عن المقر فتنفس كما يتنفس الثكول

ثم انشا يقول كل شغف لي شغف دون رقي لحب

غراني بسروج مستهام القلب صب بين ارض البكر والجو الذي منه المهب

والى دومتها الغناء دون الروض اصبوا ملجلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الحارث بن همام فقلت لصحابي هذا ابو زيد السروجي الذي

اذن ملحه الاحاجي واخذت اصف لهم جنس وشيته وانقياد

الكلام لمشيئته ثم التفتنا اليه فاذا به قد طمرونا بما تم فحبنا

بما صنع ولم ندر ان سلع وصفق تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

اما خوع امدبزاد فمثله الطوامير واما ظهر اصابة عنز فمثله مطاعين

واما صاد وجائره فمثله الفاصله واما تناول الف دينار فمثله هادية

واما اهمل حلية فمثله الغاشية واما الكف كف فمثله منه منه

واما السقف افلت فمثله الاخطار واما ما اختار فضة فمثله امارقه

واما ذن جماعة فمثله طافية واما خالي اسكت فمثله خالصه

لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها

ساكنة ومتحركة وقد حذف هاهنا حرف النداء كما حذف
في اصل الاحجية جه بمعنى اسكت واما خذ ذلك فمثله هاك
واما حمار وحش اسا فمثله فرابن لان الفرا حمار الوحش ومنه
الخبر كل الصيد في جوف الفرا واما قوله الفوت قم فمثله مستقيم
لان الامر من مات يموت من ومضارع وقمت قم واما استنشق ريح مدة
فمثله رحراح لان الامر من استدعا الراحة رح واما غط هلكى
فمثله صبور لان البور هم الهلكى وفي القران وكنتم قوما بورا
واما سار ما للبلد مدة فمثله سراجين واما احبس فروقه فمثله
مقلاع لان الامر من وقى يقي ق واللاع الجبان يقال فلان
هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا واما اعط ابريقا بلا عروة
غروه فمثله اسكوب لان الاوس العطا والامر منه اس والكوب
والابريق بغير عروة واما الثور مكلي فمثله اللالي لان اللالا
ورن لقب ثور الوحش واما صغير جعلة فمثله مكاشح لان المكا
الصغير قال الله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا
وتصدية والاصل المكا بالمد ولكنه قصره في هذه الاحجية كما حذف

صبيدء

همزة القرا في هذه الاحجية وكلا الامرين من قصر الممدود
وحذف همزة المهموز جايز

المقامة السابعة والثلثون وهي الصعدية

حكى الحارث بن همام قال اصعدت الى صعدة وانا ذو بتاط
تحكي الصعدة واشتداد يبذر شأن صعدة فلما استشرتها
ودعت خضرتها بان الحارث لرواية عمن يحويه من البراة ومعادن
الخبرات لاتخذه عدة في الظلمات وذخيرة في الظلامات
فبقيت في قاض بها رحيب الباع خصيب المراح ثمين الندى والطباع
فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واتفق عليه بالاحجام حتى صرت صدى
صوته وسلمان بيته وكنت مع استبارتهم واستشاريته اشهد
مشاجر الخصوم واسبر المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضي
جالس للاسجال في يوم المحفل والاحتفال اذ دخل شيخ بالي الرياش
بادي الارتعاش فتصدر الحفل تصدر نقادة ثم زعم ان له خصما
عسر منقاد فلم يكن الا كخطفة شرارة او وحي اشارة حتى احضر
غلام كانه ضرغام فقال الشيخ ايد الله القاضي وعصمه من التعاصي

ان ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي يحمل اوصاف
الانصاف ويرضع اخلاف الخلاف ان قدمته احجم وان اعربت
اعجم وان ذكيته اخمد ومتى شوقت رمّد مع انى كفلته مذ دب
الى ان شب وكفيته لطف من ربّى وربّ فاكبر القاضي ما شكا
اليه واطرق به من حواليه ثم قال اشهد ان العقوق احد الثكلين
ولرب عقم اقر للعين فقال الغلام وقد امعضه هذا الكلام
والذي نصب القضاة للعدل وملكهم اعنة الفصل انه ما دعا
قط الا امنت ولا ادعى الا آمنت ولا لبى الا احرمت ولا ادى
الا اضرمت بيد انه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من البقر
فقال له القاضي ويحك اعسك وامتحن طاعتك قال انه مذ صفر
يومن المال ومني بالامحال يسومني ان التقط بالسؤال واستمطر سحب
النوال ليفيض شربه الذي غاض ويجبر من حاله ما انهاض
وقد كان حين اخذني بالدرس وعلمني ادب النفس اشرب
قلبي ان الحرص متعبة والطمع متعبة والشره متخمة والمسالة ملامة
ثم انشدني من فلق فيه ولجن قوافيه

ارض بادنى العيش واشكر عليه شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المرتقي اليه
وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة صبر اولي العزم واغمض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو خولك المسؤول ما في يديه
فالحر من ان قذيت عينه اخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا اخلق ديباجه لم يبد ان اخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه وهمر وقال له صه
يا عقوق يا من هو الشجى والشرق ويلك اتعلم امك البضاع وطرك
الرضاع لقد حككت العقرب بالاخمص واستنت الفصال حتى القرعى
ثم كانه ندم على ما فرط من فيه وجد ثم الحقه على تلافيه
فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال ويك
ما نهي ان من امر بالقناعة وزجر عن الضراعة منهم ارباب البضاعة
واولو المكسبة بالصناعة فاما ذوو الضرورات فقد سوغوا
المحظورات وهبك جهلت هذا التاويل ولم يبلغك ما قيل ليس الذكر

عارض اباه اذ قال وما حاباه

البسيط

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينك هل ارض معطلة من النبات كارض حفها الشجر

فعد عما تشير الاغبياء به فاي فضل لعود ما له ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به الى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر

وان رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

فلما راى القاضي تنافي قولي الفتى وفعله وتحليه بما ليس من اهله
نظر اليه بعين مغضب وقال اتيمنا مرة وتيسيرا اخرى اف لمن ينقض
ما يقول ويتلون كما تتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك
مفتاحا للنجح ونجاحا بين الخلق لقد انبيت مذ ابيت وصدق لهجتي
مذ صدحت على انه ازرى لباب الفتح والعطاء البرج وهل يفي من برح
بالتلهي واذا استطعم قال ها فقال له القاضي منه فمع الخواطي
بينهم صابت وما كل برق خالب فمن البروق اذا اشمت ولا تستهبر
الا اننا علمت فلما تبين للشيخ ان القاضي قد عض الكرام واعظم

تبجل جميع الانام علم انه سينتصر كلمته وينظم اكرومته
فما كان بان نصب شبكته وشوى في الحرب بحركته وانشا يقول

السريع

يا ايها القاضي الذي علمه وحلمه ارجح من رضوى

قد ادعى هذا على جهله ان ليس في الناس اخو جدوى

وما درى انك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى

فجد بما تنشيه مستخرجا ما افتري من كذب الدعوى

وانفح بذلي جدلا انني بما اوليته مجازي من عادى

قال فهش القاضي لقوله واجزل له من طوله ثم لفت وجهه
الى الغلام وقد نصل له اسهم الملام وقال له ارايت بطلان زعمك
وخطا وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تبخس عودا قبل عجم تاركا
وما بك عن مطاوعة ابيك فانك ان عققته حاق بك منه ما تستحقه
فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض لحفده وتبعه
الشيخ ينفذ من ضامة او ضارة دهره فليقصد القاضي في صفعه
بسماحه ازرى بمن قبله وعدله اتعب من بعده
قال الراوي فخرجت من تعريف الشيخ وتنكيره الى ان اخروف

لصبيه فناجت النفس باتباعه ولو الى رباعه لعلي اظهر على
أسراره واغترف من غمرة تياره فنبذت العلوق وانطلق حيث انطلق
ولم يزل يخطو ويعتنق ويتبعد وأقترب الى أن ترآى الخصاص
وحق المعاذ على المخلصين فابتدى حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش
وقال من حاذر أخاه فلا عاش فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محاجة
ولا حجة لحاله فانتزعت اليد لصاحبه واستعذت سانحه وبارحه
فقال دونك ابن أخيك البر وتوكّ ومن فلم تعد الفتى أن اقتدى ثم فرّ
كما فرّ ثعلب وقد استبنت عنهما ولكن ابن هما

المقامة الثامنة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال حبب الي منذ سعت قدمي ونفث قلمي
أن اتخذ الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت أنقر عن
أخباره وخزنة أسراره فاذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة
المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني
لم ألق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب إلا أنه
كان أسير من المثل وأسرع من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته

واستحسان مقاماته ادعي في الاغتراب واستعذب العذاب الذي
هو قطعة من العذاب فلما طوحت بي الى مرو ولا غرو تيمنت بملقاه
زجر الطير والفال الذي يؤثر بالخير فلم أزل أنشده في المحافل
وعند تلقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا حادي له أثرا
حتى غلب اليأس الطمع وانزوى التأميل والتطلع فاني لذات يوم بحضرة
والي مرو وكان ممن جمع الفضل والمروّة إذ طلع أبو زيد في خلق
مملأ وخلق ملآن فحيا الوالي تحية المحتاج الى المحتاج ثم قال له
اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عذقت به الأعمال أعلقت به الآمال
ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه الحاجات وإن السعيد من إذا قدر
وواتاه القدر أدى زكاة النعم كما يؤدي زكاة النعم والتزم لأهل الحرم
كما يلتزم للأهل والحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك
ترجى الركاب الى حرمك وترجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب
بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما
ثم اني ترب بعد الاتراب وعادم الاعشاب حين شاب قصدتك من
محلة نازحة وحالة رازحة آملا من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة

والتأميل أفضل وسائل السائل وفائدة للتامل فأوجبت لي
ما يجب عليك وأحسن كما أحسن الله إليك وإياك أن تلوي عذارك
عمن ازدارك وأم دارك أو تقبض راحك عمن امتاحك وامتار
بما جاك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب
من إذا وجد جاد وإذا بدأ بالعائدة عاد والكريم من إذا استوهب
الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطلع
نفسه وأحب الوالي أن يعلم هل نطفته ثمد أم لقريحته مدد
فأطرق يروي في استيراء زنده واستشفاف فرنده والتبس على أبي زيد
سر صمته وازدجاء صلته فتوغر غضبا وأنشد مقتضبا شعر

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته أكان ذا الثراء كان سكيتا
وأنخ بعرفك من وافاك مختبطا وانعش بغوثك من ألفيته منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد به ذكرا تناقله الركبان وصيتا
وما على المثري في جهد ابهو هبه غنر ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا

بعونك

لكنه لا ابتغى المخارجة ومن جب السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا — الجود
والجهد والبخل لم يعرض اجتماعهما حتى لقد خيل ذا صار ذا — قيل
والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على أمواله علل يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن تستمر به حال أكرهت تلك الحال أم شئتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأي ولد الرجلات فنظر
إليه عن عرض ثم أنشد وهو مغض بيت

لا تسأل المرء من أبوه ورز خلاله ثم صله أو فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحله مقعد الخاتن ثم فرض إليه
من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بردن
ملآن وقلب جذلان وتبعته حاذيا حذوه وقافيا خطوه حتى إذا

خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنيت بما اوتيت ومليت
بما اوليت فاستغرب ضحكه وتلا الآن وذا الى شكر الله تعالى ثم خطر الخيلا
وانشد ارتجالا من يكن نال بالحماقة حظا او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي
ثم قال تعسا لمن جدب الادب وطوبى لمن جد فيه ودأب ثم ودعني
وذهب واودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلثون

قال لهجت مذ اخضر ازاري وبقل عذاري بان اجوب البراري
على ظهور المهاري لانجد طورا واسلك تارة غور الحجاز وقلب المعالم
والمجاهل وبلوغ المنازل والمناهل وادمنت التسايد والمسام
وانضيت النواعج والرواسم فلما مللت الاصحار وقد سنح لي ارب
بصحار ملت الى اختيار الفلك السيار فنقلت اليه اداوي
واستصحبت زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب حاذر نادر
عاذل لنفسه وعاذر فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشرع للسرعة
سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا الليل واغسى هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك
القويم المرجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل وارشدنا
كما يرشد الخليل الخليل فقال اتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل
وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فاجمعنا على الجنوح اليه
وان لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك قال اعوذ
بمالك الملك من مسالك الهلك ثم قال انا روينا في الاخبار
المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا
حتى اخذ على العلماء ان يعلموا وان معي لعوذة عن الانبياء ماخوذة
وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني الكتمان
ولا من خيمي الحرمان فاستنصتوا المقالتي وتفهموا واعلموا بما تعلمون
وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال اتدرون ما هي والله انها حرز
السفر عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم اذا جاش موج اليم
وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان
على ما صدعت به آي القرآن ثم قرأ بعد اساطير تلاها وزخارف
حلاها وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرسيها ثم تنفس
تنفس المغرمين او عباد الله المكرمين وقال اما انا فقد قمت

فيكم قيام المصلين ونصحي لكم نصح المعالجين وبلغت لكم محجة
الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال الحارث بن همام
فاعجبنا بيانه البادي الطلاوة وعجت له اصواتنا بالتلاوة
واسر قلبي من جرسه مطلع شمسه فقلت له بالذي سخر البحر اللجي
الست السروجي فقال بلى هل يخفى ابن جلا فاجررت حينئذ السفر
وسفرت عن نفسي اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والزمان
لهو والعيش صفو وانا اجد للقيانه وجد المثري بعقيانه وابتهج
بمناجاته ابتهاج الغريق بمنجاته الى ان عصفت الجنوب وعسفت الجنوب
ونسينا السفر ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا الحادث
النابي الى الجزاير لنرفه ونستريح ريثما تولى الريح وتمادى اعتياص
المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي ابو زيد انه لن يجتنى العود
بالقعود فهل لك في استثارة المسعود بالصعود فقلت له اني لك لاتبع
من ظلك واطوع من نعلك فنهضنا الى الجزيرة على ضعف من المريرة لنرتاد
في امتيار الميرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا فاقبلنا
نجوب خلالها ونتفيا ظلالها حتى افضينا الى قصر مشيد له باب من

افرح بمناجاته فرح الغريق

الحديث

جندل ودونه زمرة من عبيد فناجيناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء
واتخذناهم للاسقاء فالفينا كلا منهم في مسك كئيب وكرب راسب فقلنا
ايتها الغلمة ما هذه الغمة فلم يحيروا الندآء ولا فاهوا ببيضاء ولا سودا
فلما راينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت
الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته
عبرة وقال يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فانا لفي حزن
شاغل وشغل عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق البث
وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجدني عرافا كافيا ووصافا
شافيا فقال اعلم ان رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه
هذه الرقعة الا انه لم يخل من كمد لخلوه عن ولد ولم يزل يستكرم
المغارس ويتخير من المغارس النفائس الى ان بشر بحمل عقيلة وآذنت
ثقلته بفصيلة فنذرت له النذور واحصيت الايام والشهور ولما
جاز النتاج وصيغ له الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف
على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم
اجهش بالبكاء واعول وردد الاسترجاع وطول فقال له ابو زيد اسكن

أيحسن ما هذا واستبشروا انتشر بالفرح وكثر تعجبي عن سمة الطلق
التي انتشر سمعها في الحلق فبادر الغلمة إلى مولاهم مبادرين بانكباب
بلوائهم فلم يكن إلا كلا ولا حتى برز من هلم بنا إليه فلما أدخلنا
عليه ومثلنا بين يديه قال لأبي زيد ليهنك ما لك ان صدق مقالك
ولم يعل فالك فاستحضر قلما مبريا وزبدا طريا وزعفرانا قد ديف
في ماء ورد نظيف فما ان رجع النفس حتى احضر ما التمس فسجد ابو زيد
وعفر وسبح واستغفر واخذ القلم واستخرج وكتب على الزبد المزعفر
أيهذا الجنين اني نصيح لك والنصح من شروط الدين شعر

أنت مستعصم بكن كنين وقرار من الركون مكين
ما ترى فيه من يروعك من الف مداج ولا عدو مبين
ومتى ما برزت منه تحولت إلى منزل الأذى والهون
وترآى لك الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر أن تبيع المحقق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طلس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشد الزبد
في خرقة حرير بعد ان ضمخها بعبير وأمر بتعليقها على فخذ الماخض و
ان لا يعلق بها يد حائض فلم يكن الا كفواق حالب او ذواق شارب حتى
اندلق يجفر الولد لخصيصة الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر
حبورا واستطير عميده وعبيده سرورا واحاطت الجماعة بابي زيد
تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمريه حتى خيل لي انه الاسدي
دبيس او القرني اويس ثم انثال عليه من جوائز المجازاة وصلات الصلات
ما قيض له الغنى ويسر له وجه المنى ولم نخل بينا بذا الدخل من نتج البخل
الى ان اغطى البحر الاماني وتسنى الاتمام الى عمان فاكتنف ابو زيد بالنجح
وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة بركته بل ضمه الى
خزانته واطلق يده في خزانته قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال
الى حنث بكثب لما ألححت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألوف
والإلف فقال إليك عني واسمع مني شعر

لا تصبون إلى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب إلى كن يقي ولو انه حضن حصن
وإذا نبا بك منزل أن تقيم بحيث تغتسل البدن

وجب البلاد فايّها ارضاك فاختره وطن ودع التذكّر للمعاهد والحنين الى سكن
واعلم بانّ الحرّ في اوطانه يلقى الغبن كالدرّ في الاصداف يستزرى ويبخس في الثمن
ثم قال حسبك ما استمعت فحبّذا انت لو اتّبعت فاوضحت له معاذيري
وقلت له كن عذيري فعذرني واغتدى وزوّدني حتى لم يذر شيئا
تشيّع الاقارب الى ان ركبت القارب فودّعته وانا اشكو الفراق واودّ
لو هلكت الحيرة وانه

المقامة الاربعون

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من تبريز حين نبت بالذليل
والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينما انا في اعداد الاهبة
وارتياد الصحبة لقيت ابا زيد السروجي ملتفّا بكساء ومحتفّا بنساء فسالته
عن خطبه والى اين يسري مع سربه فاوما الى امراة منهنّ باهرة السفور
ظاهرة النفور وقال تزوّجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف
العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقّي وتكلّفني فوق طوقي فانا منها
نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب
على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والّا فالطلاق والانطلاق
قال فملت الى ان اخبر لمن الفلج وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما

وان كنت لا اغني فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك
وينقص سقاطة السواك جثا ابو زيد بين يديه وقال ايّد الله القاضي
واحسن اليه انّ مطيّتي هذه ابيّة القياد كثيرة الشراد مع انّي اطوع
لها من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك اما علمت
انّ النشوز يغضب الربّ ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار
وياخذ الجار بالجار فقال له القاضي تبّا لك ابتذر في السباخ
وتستفرخ حيث لا افراخ اغرب عنّي لا نعم عوفك ولا امن خوفك
فقال ابو زيد انها ومرسل الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو
ومن طوّق الحمامة وجنّح النعامة لاكذب من ابي ثمامة حين مخرق
باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصّة البعل والجار اتعمدين في الخلوة
لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت انّي حين بنيت عليك ورنوت
اليك الفيتك اقبح من قردة وايبس من قدّة واخشن من ليفة وانتن
من جيفة واثقل من هيضة واقذر من حيضة وابرز من قشرة وابرد
من قرّة واحمق من رجلة واوسع من دجلة فسترت عوارك ولم ابد عارك

على انه لو حشرت بين جمالها وزينته بمالها وبلقيس بعرشها
وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف
بفخرها والخنساء بشعرها في صخرها لانفت ان تكون قعيدة رحلي
وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها
وشمرت وقالت له يا الام من مادر واشأم من قاشر واجبن
من صافر واطيش من طامر اترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك
وانت تعلم انك احقر من قلامة واعيب من بغلة ابي دلامة وافضح من
حبقة في حلقة واحير من بقة في حقة وهبك الحسن البصري في
لفظه ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه
وجريرا في غزله وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته وعبد الحميد في بلاغته
وكتابته وابا عمرو في قراءته واعرابه والاصمعي في روايته عن اعرابه
اتظنني ارضاك اماما لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي
ولا عصا لجرابي فقال لهما القاضي اراكما شنا وطبقة وحداة وبندقة
فاترك ايها الرجل اللدد واسلك في سيرك الجدد واما انت فكفي
عن سبابه وقري اذا اتى البيت من بابه فقالت المرأة والله ما احبس عنه

لساني الا اذا كساني ولا ارفع له شراعي دون اشباعي فحلف
ابو زيد بالمحرجات الثلث انه لا يملك الا اطماره الرثاث فنظر
القاضي في قصتهما نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي ثم اقبل
عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما التسافه
في مجلس الحكم والاقدام على ارتكاب هذا الجرم حتى ترقيتما
من فحش المخادعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد اخطأت استكما
الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان امير المؤمنين اعز الله بقاءه
الذي نصبني لا تقضي بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء وحق نعمته التي
احلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا لي جلية
خطبكما وخبيئة خبكما لاندددن بكما في الامصار ولاجعلنكما
عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

انا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفؤ البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسي ... ولا تناءى ديرها عن قسي
ولا عدت سقيا ارض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي

حتى كأنا لخفوت النفس أشباح موتى نشروا من رمس

فنحن عرا الصبر والتأسي وشفنا الضر الحليف المنسي

فما لسعد الجد أو بنحس هذا المقام لاختلاف طلس

والفقر يلحي الحر حين يرسي إلى التحلي في لباس اللبس

فهذه حالي وهذا ذكري فانظر إلى يومي وسل عن أمسي

ومر بجبري إن تشا أو حبسي ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثبت أنسك ولتطب نفسك فقد حق لك أن تغفر خطيئتك

وتوفر عطيتك فنادت الزوجة عند ذلك واستطالت وأشارت

إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم أوفى على الحكام تبريزا

ما فيه من عيب سوى أنه يوم الندى قسمته ضيزى

قصدته والشيخ يبغي جنى عود له ما زال ممروزا

فسرح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتمييزا

وردني أخيب من شائم برقا خفيا في شهر تموزا

كأنه لم يدر أني التي لقنت الشيخ الأراجيزا

وأنني إن شئت غادرته أضحوكة في أهل تبريزا

قال

فلما رأى القاضي افتنانهما وانفصال لسانيهما علم أنه

قد مني منهما بالكبرى العظمى والداهية الدهياء وأنه متى منح أحدهما الرفد

وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين أو صلى

المغرب ركعتين فقطب وطرسم واجرنثم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت

يمنة وشآمة وتململ كآبة وندامة وأخذ يذم القضاء ومتاعبه

ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس

الحريب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال إن هذا لشيء عجيب أأرشق

في موقف بسهمين وأنا الأدم في قبضة مغرمين أنى أطيق أن أرضي الخصمين

ومن أين ومن أين ثم عطف إلى حاجبه المنفذ لمآربه وقال ما هذا

يوم حكم وقضاء وفصل وإمضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاغترام

هذا يوم النجران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم يصاب

فيه ولا يصيب فأرحني من هذين المهذارين واقطع لسانيهما بدينارين

ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب وأشع أن هذا يوم مذموم وأن

القاضي فيه مهموم لئلا يحضرني خصوم قال فأمن الحاجب على دعائه

وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين وقال أشهد إنكما

لا تجعل الثقلين لكن اخبرنا بمجالس الحكام واحسنا فيهما
نحسن الكلام فما كل قاض شرير ولا كل ذي تسمع الاراجز
فقالا له مثلك من يجيب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حطنا ما بين
واصلنا قلت يا القاضي نادر لنفسه

ما تضمنت هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله لقيت منهما عرق القربة هذا مثل يضرب لمن لقي شدة من الامر
الذي يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق وقوله
جعلته دبر اذني معناه طرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم
وقوله الكذب من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب
وسارت اليه لتناظره وتخبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم
مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونهما من الاسماء المعدولة
واشتقاقه من السجاحة ومعنى السهولة ومنه قولهم ملكت فاسجح
وقولها الكذب من ابي ثمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان
تنبأ باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد وقتله
وقوله لا نعم عوفك العوف الحال والعوف ايضا الذكر وقال

للباني على اهله نعم عوفك وقوله ما دفار يا فجار هذان اسمان
معدولان عن دفرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا
ام دفر وكل اسم يجيء به بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على
الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا فجار يا دفار
ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر
اطوف ما اطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع وقوله احمق من رجلة
هو ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجتث فيها واما قولها الام
من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اخذ حوضا ليسقي
ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده
واما قولها اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد
مناة ما طرق ابلا الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب ويسمى
قاشرا لقشره وجه الارض من النبات واما قولها اجبن من صافر
فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير
وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصائد الارض
وقيل انه طائر بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل

يصفر طول ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ وقيل انه الذي
يصفر بالمراة لريبة فهو يخشى وقت صفيره مخافة ان يظهر على امره
وقيل ان المراد المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب
فعلى هذا القول فاعل هاهنا بمعنى مفعول كقوله تعالى
من ماء دافق اي مدفوق وقولهم راحلة بمعنى مرحولة وقد جا
مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا واما
قولها اطيش من طاير فالمراد به البرغوث ويسمى طاير لكثرة
وثوبه واما قول القاضي ان كما شنا وطبقة وجداه وتدقه
فانه اراد به ان كلا منكما كفو لصاحبه ومقاوم له وذكر لكل
من المتكلمين نفسه مختلف فيه اما شن وطبقة فان العلما اختلفوا
في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن
من افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من
اياد وكانت طبقة لا تطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها
وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه
الا يتزوج الا امراة تلايمه وكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته

فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما السير قال له
اتحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب
فامسك وسارا حتى اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع
قد اكل ام لا فقال له يا جاهل اما تراه في سنبله بعد فامسك
الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن اترى صاحبها حيا ام ميتا
فقال له ما رايت اجهل منك اتراهم يحملون الى القبور حيا ثم انهما
وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة
فاخبر بطرفها بحديثه فقالت له ما نطق الا صوابا ولا استفهمك
الا عما يستفهم عن مثله اما قوله اتحملني ام احملك فانه اراد اتحدثني
ام احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع
اكل ام لا فانه اراد هل استسلف اهله ثمنه ام لا واما استفهامه
عن الميت احي هو ام لا فانه اراد هل خلف عقبا يحيى ذكره به ام لا فلما
خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه
اياها وسار بها الى قومه فلما اخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة
قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا وحكي عن الاصمعي انه سيل عن تفسير

ارباب صاحبه

هذا المثل فقال اظن البشر وبنا من آدم كان قد اشتد فلما اتخذ
له غطاء واقعه ضرب فيه هذا المثل واما جداه وبندقه فانه
يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه او يبلى بنظيره جد احدا
وراك بندقه وكان في الاصل جداه باشارة اليها فرخم في الندا
وقد اختلف في المراد بهما فقيل هو الطائر المعروف وبندقه
هي بندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من بعد العشيره فاغارت
جداه وكانت تنزل بالكوفه على بندقه وكانت تنزل باليمن
فنالت منهم ثم كرت بندقه على جداه فانحت عليهم وروى بعضهم
هذا المثل جد اجدا غير مهموز على مثال قفا وعصا وزعم انه اسم
القبيله واما قوله اخطأ استك الحفره فانه مثل يضرب
لمن يخطي في مقصده ويضع الشي في غير موضعه واما قوله طلسم وطرسم
فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم اطرق وقوله اخرنطم وبرطم
اي غضب وقطب وقيل معنى اخرنطم اي غضب مع تكبر ومعنى برطم
اي غضب مع عبوس وقوله همهم وغمغم اي لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون في المواعظ



اخبر الحارث بن همام قال لما طغت دواعي التصابي في غلوآ
شبابي فلم ازل زيرا للغيد واذنا للاغاريد الى ان وافى النذير
وولى العيش النضير فنهضت الى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت
في جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات وبتلافي الهفوات
قبل الفوات فملت عن معاداة الغادات الى ملاقاة الثقات وعن مغاناة
القينات الى مداناة اهل الديانات وآليت ان لا اصحب الا من
نزع عن الغي وقد انتشر الى الطي وان الفيت من هو خليع الرسن
مهذ الوسن اثأت داري عن داره وفررت عن عره وعاره فلما
القتني الغربة بتنيس واحلتني مسجدها الانيس رأيت به ذا حلقة
ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجأش متين ولسان مبين مسكين
ابن آدم واي مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها
بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب
عليها لشقاوته ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته اقسم
بمن مرج البحرين ونور القمرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكر فيما قدم
لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل

جُشْ ونح الاعمال يا عجبا كل العجب لمن يجمع دار اللهب في اكتساب الذهب
وخزن النشب لذوي النسب من البنين العجب ان يعظكم وخط المشيب
ويؤذن شمسكم بالمغيب ولست ترى ان تنيبوا وتهذبوا المعيب ثم اندفع ينشد
انشاد من قد يئد يا ويح من انذره شيبه وهو على غي الصبا منكمش
يعشو الى نار الهوى بعد ما اصبح من ضعف القوى يرتعش
لم يهب الشيب الذي ما رأى نجومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له وان يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتقش
فاخلص التوبة تطفئ بها من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضى وداري من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر ان حصه زمانه لا كان من لم يرش

وانجد المأمور ظلما فان عجز عن الجادة فلتحتش
والنعش اذا ما داركه ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش
وها لك كأس النصح فاشرب وجد بفضلة الكأس على من عطش
فلما فرغ من منكياته وقضى انشاد ابياته نهض صبي قد شدن
واعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات الى الوصاة
قد وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل
ويصلح المستقبل فليبر ذي عن نيته ولا يبعد لعني بعطيته
فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاضرار ان سري لكاتم وان وجهي
لمستوجب الصون فاعينوني رزقتم العون قال واخذ الشيخ فيما يعطف
عليه القلوب ويسني له المطلوب حتى انبط جفره واغشوشب
وفره فلما ان ربع الكيس الصلنبعس ونجد نشر ولم يحل للشيخ المقام
بعد ما انصاع الغلام فاستفتح الايدي للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء
قال الراوي فاربحت الى ان عجمه واجل مترجمه فتبعته وهو ينشط
في مشيته ولا يفتق رتق صمته فلما امن المفاجي وانكر الناجي
لفت جيده الي وسلم تسليم البشاشة علي ثم قال ارأيت ذكاء ذلك

الشونيز قلت اي والمومن المهيمن قال انه فتى السروجي ومخرج
الدر من اللجي فقلت اشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شرارته فصدق
كهانتي واستحسن ابانتي ثم قال هل لك في ابتدار البيت لنتنازع كاس
الكميت فقلت له ويحك اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر
افترار مضاحك ومر غير مماحك ثم بدا له ان يراجع اني وقال اخطاتها
عني وعلي اضرب بصرف الراح عنك الاسى وروح القلب ولا كنت
ولكن لا املك فيما به تنزع عنك الهم فذلك انبت ثم قال اما انا
فانطلق الى بيت اصطبح واغتبق واذا كنت لا تصحب ولا تلايم من
يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي وتنكب
عني ولا تعنف ثم ولى مدبرا ولم يعقب فالتهبت وجدا عند انطلاقه
ووددت لو لم الاقه

المقامة الثالثة والاربعون

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى
الى ان جزت ابركل تربة واخاكل غربة الا انني لم اكن
اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلي
عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي هذه النشنشة

ونشا فلتهما عني لا لبسة دصارت العلوق بطن الهوى بني غلدة والسجاعة
بال ابي صفرة فلما الفيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان
والجيران اتخذت انديتها متجري ومويم فكاهتي وسمري فكنت
انجمها صباح مساء واظهر فيها على ما بز وساء فبينما انا في
ناد محشود ومحفل مشهود اذ جثم الدنا هم عليه هدم تحاتحيه
ملقي بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد تبين
الصبح لذي عينين وبان العيان ما بعد لين فاذا ترون فيما
ترون الجسور العوزام يبادر ادب بعون فقالوا يا الله لقد
غطت ودمت ان تبط نغضت فناشدهم الله عما دا اصدهم حتى
استخرج ذهم فقالوا كنا نناضل بالالغاز كما يناضل يوم البراز
فما لك ان تعتب من النصول والجوهدا العضل ثمط الفصول
فلسنه لسن القوم ووخزه باسنة اللوم واخذهم بتنصل من هفوته
وتندم على فوهته وهم مصنون على مواخذته وملتون
داعي متابذته الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع
فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلم الى ان بلغ وبحكم المبرز

يكن عند ذلك تقدم وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط
عليهم ولهم وابتهجوا ان يكون اولهم فامسك ريثما تنعقد سبحة
او ينشد نشيد ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش وانشد ملغزا
في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ... ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها ... على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل ومراكز العقل وانشد ملغزا في حابول
النخل

ومنتسب الى ام تنشا اصله منها يعانقها وقد كانت تفيه برهة عنها
به يتوصل الجاني ولجتني ولابنها

ثم قال ودونكم الحجية
العلم المتنكرة الظلم وانشد ملغزا في القلم

ومأموم به عرف الامام ... كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صاد ... ويسكن حين يعروه الاوام
ويذري حين يستسقي دموعا ... يرقن كما يرقرق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا
في الميل

وما ناكح اختين جهرا وخفية ... وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه ... وان مال بعل لم يجده يميل
يزيدهما عند المشيب تمتعا ... وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب ومعادن الآداب وانشد ملغزا في الدولاب

وجار وهو موصول وصول الناس بالجافي
عريق بالرزايا فاعجب له من راسب طافي
يسح دموع مظلوم ويهضم هضم متلاف
ويخشى منه جور ولكن قلبه صافي

قال فلما رشق بالخمس التي نثر قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا
عليها الخمس ثم رايكم وضح الدليل والازدياد من هذا الكيد
فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما اشربوا من البلادة فقالوا
له ان فوقنا دون رجحانك لنجمحها عن استيراد زيدك فقال اسمعتم عشرا
فمن عبدك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانجز حاجته ثم افصح
النطق بالتسهيل وانشد ملغزا في المرملة

ومنشورة مغمومة طول دهرها ... وما بها ان تزري بالسرور ولا الغم
تقرب احيانا لاجل جنينها ... وكم ولد لولاه طلقت الام

وتسعد احيانا وما حال عهدها وابعاد من لم يستحل عهده ظلم
اذا قصر الليل استلذ وصالها وان طال فالاعراض عن وصلها نعم
لها ملبس باد ابن منطق بما ان درى لكن لما ان درى الحكم
ثم كشر عن انيابه الصفر وانشد ملغزا في الظفر
ومرهوب السنا نام وما يرعى وما يشرف
يرى في العسر دون اليسر فاسمع وصفه واعجب
ثم تحازر تحازر العفريت وانشد ملغزا في طاقة الكبريت
وما مجفوره يدنى ويقصى وما بها اذا افكرت ذنب
لها راسان منتهيان جدا وكل منهما لاخيه ضد
يعذب ان يما خصبا ويلغى اذا عدم الخضاب ولا يعد
ثم تمطى تمطى القرم وانشد ملغزا في حلب الكرم
وما شيء اذا فسدا تحول غيه رشدا وان هو راق اوصافا اثار الشر حيث بدا
زكي العرق والده ولكن بئس ما ولدا ثم عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار
وذي طيشة شقه مايل وما عابه بها عاقل
ترى ابدا فوق عليه كما يعلو الملك العادل

اعتضد

تساوى لديه الحصاة والنضار وما يستوي الحق والباطل
اعجب
واعجب اوصافه ان نظرت كما نظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما وقد عرفوا انه مايل
قال فظلت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولان
المستهام الى ان طال الامد وحصحص الكمد فلما راهم
يرتدون خاسئا وينفضون النهار ما لمني قال يا قوم الام تنظرون
وحتام تنظرون ان لم يان لكم استخراج الخبي او استسلام الغبي
فقالوا له تالله لقد غوصت ونصبت الشرك فقنصت فبحكمك كيف
شئت وحرا الغنم والضب فرض عن كل معمى فرضا واستخلصه
منهم نضاما فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول الاحفال
فاعتلوا به منذ رة القوم وقال لا لبسة بعد اليوم فانكفت قبل
الانطلاق وههنا منعة الطلاق فاطرحني فلنا مرتين انشد
والدمع يحب مروح مطلع شمس وربع لهوى وانسى
لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي
واغتضت عنها اغتراب امري يومي وامسي

ما لي مقرٌّ بارضٍ ولا قرارٌ لعنسي

يوما بنجدٍ ويوما بالشام اضحي وامسي

ازجي الزمان بقوتٍ منغّصٍ مستخسّ

فلا ابيتُ وعندي فلسٌ ومن لي بفلسِ

ومن يعش مثل عيشي باع الحيوة ببخسِ

ثم انه اختص خلاصة النقد بعد رضا ربّها في الارض فناشدناه ان يعود وانشنا له لو عود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب فيه نجع

المقامة الثالثة والاربعون

اخبر الحارث بن همام قال جبتُ البيد المطوّح والسير المبرّح الى ارض تضلّ بها الخرّيت وتفرّق فيها المصاليت فوجدتُ ما يجد الحائر لو جُنّ ورأيتُ ما كنتُ منه اخذ الا اني تشجّعت تشجّع المزؤود ونسيتُ نضو المجهود وسرتُ سير الضارب بقدحٍ المستسلم للحين فلم ازل بين خببٍ وذميلٍ واجازة ميلٍ بعد ميلٍ الى ان كادت الشمس تجب والضيا يحتجب فارتعتُ لاظلال الظلام واقتحام جيشٍ حام ولم ادرِ ااكفتُ الذيل وانيخ ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا اقلّب العزم وامتخض الحزم تراءى لي شبح جملٍ مستذرٍ لجبلٍ فتوسّمته ثقوده مرتحلٍ وقصدته قصد منتجعٍ فاذا الظنّ كهانة والرؤية عيانة والمرتحل قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده فجلستُ عند راسه حتى هبّ من نعاسه فلما اذن بي اجاه واجتن من فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخو كلام الذئب فقلتُ بل خابط ليلٍ ضلّ المسلك فاضئ لي اوقد لك فقال ليسرِ عنك همّك فربّ اخٍ لك لم تلده امك فانسرى عند ذلك اشفاقي وسرى الوسن الى آماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما ارى فقلتُ اني لك لطوع مرجدٍ بك واذو من غدا بك فصدع بحنيني وخفّ لصحبتي ثم اجتملنا محذرين وارتحلنا منه الحين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ الليل غايته ونشر الفجر رايته فلما اسفر الفاضح ولم يبقَ الا واضح توسّمتُ رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيدٍ مطلب الناشد ومعلم المراشد فتهادينا تحيّة المحبّين اذ التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثينا الاخبار ونعيري بحظٍّ من الكلال

د واجلته بوقت زهق البزال فاعجبني اشتداد اسرها وامتداد
صبرها واخذت استشف جوهرها واسائله عن اثر خبرها فقال
ان لهذه الناقة خبرا احلى للمذاقة مليح السياقة فان احببت
استماعه فانخ وان لم تشا فلا تصخ فانخت لقوله نضوي واهدفت
السمع لما يروي فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت وكابدت
في تحصيلها الموت فما زلت اجوب عليها البلدان واطس بها القران
الى ان وجدتها عتاد اسفاري وعدة فراري لا يلحقها العنا ولا يواهقها
وجنا ولا تدري ما الهنا فاحللتها محل البر البر وارصدتها
للخير والشر واتفق ان ندت منذ مدة وما لي سواها فقدتها فاشعرت
الاسف واستشرفت التلف وبتت كل رزء سلف ومكثت ثلثا
لا استطيع انبعاثا ولا اطعم النوم الا حثاثا ثم اخذت في استقراء المسالك
وتفقد المبارح والمبارك وانا لا استنشئ منها ريحا ولا استغشي
باسا مريحا وكلما اذكرت مضاءها في السير وايثارها لبادرة الطير
لاعني الادكار واسهرني الافكار فبينا انا في جوب بعض الاحيا
اذ سمعت من شخص متبعد صوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية

وطنه جلدها قد وسم وعرها قد جسم وزمامها قد ضفر
وظهرها كان قد كسر ثم جبر تزن الماشية وتعين الناشية
وتقطع المسافة النائية وتطل ابدا لك مدانية لا يعتورها الوني
ولا يعترضها الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصي فيمن عصى
قال ابو زيد فجذبني الصوت الى الصائت وبشرني بدرك الفائت
فلما افضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية
فقال وما مطيتك غفر خطيئتك فقلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها
كالقبة وحلبها ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين اذ جلبت
فاستزدت الذي اعطى وقد رايت انه اخطا قال فاعرض حين سمع
صفتي وقال لست بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه واضطربت
على تكذيبه وهممت بتمزيق جلبابه وهو يقول يا هذا ما مطيتي
بطلبتك فاكفف من غربك وعد عن سبك والا فقاضني الى
حكم هذا الحي البري من الغي فان اوجبها لك فتسلم وان زواها
عنك فلا تتكلم فلم ار دوا لقضيتي ولا مساغ غضبتي الا ان ناتي الحكم
ولو لكم فانخرطنا الى شيخ زكن البصر ابن العصبة يونس منه سكون الطاير



ذات لمس باليد فإذ رأت أنظلم وأنا ثمّ وصاحبي مرتهن لأثرمه
حتى إذا أملت كآبتي وقصصت من القصص لنا بني أبو زيد نعلا زرية
الوزن مخروزة لتسلك الحزن وقال هذه التي عرفت بها ذا
فإن كانت هي التي أعطي بها عشرين وها هو من المبصرين
فقد كذب في دعواه وكثر ما افتراه اللهم الآن نهد بدا له دين
مصداق ما قال له فقال الحكم غفرا وجعل نعلت النعل بطنا وظهرا
ثم قال أما هذه النعل فنعلي وأما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم
ناقتك وافعل الخير حسب طاقتك فقمت وقلت
أقسم بالبيت العتيق ذي الحجرتم والطائفين العاكفين في الحرم
إنك نعم من الحكم وخير قاض في الأعارب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم فأجاب من غير روية ولا عقد نية
جزيت عن شكر خيرا يا ابن عم إذ لست أستوجب شكرا ملتزم الرحم
شر الأنام من إذا استقضي ظلم ثم استرعى فلم يرع الحرم
فذان والكلب سواء في القسم ثم إنه تقدّمني يدي من سلم الناقة
إليّ ولم يمتن عليّ فرجعت أجر ذيل الطرب وأقول يا للعجب قال الحارث بن همام

فقلت له بالله لقد أظرفت وما ترفت بما عرفت فاستنزل الله هل لقيت
أسحر منك بلاغة وأحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاسمع وأنعم
كنت عزمت حين أيمت على أن أتخذ ظعينة لتكون لي معينة
يعتري الخطب وكاد الأمر يشتت أفكاري فكر المتحير من الوهم
المتأمل كيف مسقط السهم ثم لبثتني أناجي القلب المعذب
وأقلب العزم المذبذب إلى أن أجمعت على أن أستخير وأشاور وأول من أنصح
فلما قوضت الظلمة أطنابها وولت الشهب أذنابها غادرت غدرة
المتعرف وأنكرت إنكار المتعفف فانبرى لي بالغ وجهه شاسع
فيممت بمنظره البهيج واستقرحت رأيه في المزدوج فقال أوسعها
عوانا أم بكرا تعاني فقلت اختر لي ما ترى فقد ألقيت إليك العرى
فقال القب البكر الحرى إلى السن وعليك النعيس فاسمع أنا أقد
بعد ذلك أما البكر فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة
والثمرة الباكورة والسلافة المذخورة والروضة الأنف والطوق
الذي ائتلف لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها
عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي

واللسان المعي والقلب التقي ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة
المداعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح
الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب وأما الثيب
فالمطية المذللة واللهنة المعجلة والبغية المسهلة والطبة
المعللة والقرينة المتحببة والخليلة المتقربة والصناع المدبرة
والفطنة المجربة ثم انها عجالة الراكب وانشوطة الحاطب
وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها لينة وعقلتها هينة
ودخلتها مبينة وخدمتها مزينة واقسم لقد صدقت في النعتين
وجلوت المهاتين فبايتهما هام قلبك وعلى ايتهما حام لبك قال
ابو زيد فرايته جنة تتقى بها المراجم وتدمى منها المحاجم الا
اني قلت له كنت سمعت ان البكر اشد حبا واقل خبا فقال
قد لعمري قيل هذا ولكن كم من قول آذى ويحك اما هي المهرة
الابية العنان والمطية البطية الاذعان والزندة المتعسرة
الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم ان مونتها كثيرة
ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالتها مكلفة ويدها خرقا

وفتنتها صما وعريكتها خشنا وليلتها ليلا وفي رياضتها عنا
وعلى خبرتها غشا ولطالما اخزت المنازل وفركت المغازل
واجحفت العازل واضرعت الفنيق البازل ثم انها التي تقول
انا البس واخلس فاطلب من يطلق ويحبس فقلت له ما ترى
في الثيب يا ابا الطيب فقال ويحك اترغب في فضالة الماكل
وثمالة المنهل واللباس المستبذل والوعا المستعمل والذواقة
المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح المتسلطة والمتحكرة
المتسخطة ثم كلمتها كنت وصرت وطالما بغي علي فنصرت
وشتان بين اليوم والامس وهيهات القمر من الشمس فان كانت
الحنانة البروك والطماحة الهلوك فهي الغل القمل والجرح
الذي لا يندمل فقلت له فهل ترى ان اترهب واسلك هذا المذهب
فانتهرني انتهار المؤدب عند زلة المتادب ثم قال لي ويلك اتقتدي
بالرهبان والحق قد استبان اف لك ولوهن رايك وتبا لك ولهذا
اتراك ما سمعت بان لا رهبانية في الاسلام ولا اخبرت بما نكح نبيك
عليه السلام ثم اما تعلم ان السكن الصالحة ترب بيتك وتلبي صوتك

وتغض طرفك وتطيب عرفك وبها ترد قرة عينك وترجا نه
انفك وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلية يومك وغدك
فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين
ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك
ثم أعرض إعراض المغضب وازور ازورار المغتاظ فقلت له قاتلك الله
انطق مستخبرا وتدعني متحيرا فقال أظنك تدعي الخبرة لتجلد
غمرة وتستغني عن المشورة فقلت له قبح الله ظنك ولا اسب قرنك
ثم رحت عنه مراح الخزيان ونبت من مشاورة الصبيان قال الحارث
فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك أن الجدل منك وإليك فأغرق في الضحك
وطرب طربة المنهمك ثم قال ابعد العسل ولا تسل فأخذت
أسهب في مدح الأدب وأفضل رتبه على ذوي النسب وهو يتطير
لي نظر المستجهل ويغضي عني إغضاء المتمهل فلما أفرطت في العصبية
للعصبة الأدبية قال لي صه واسمع مني وافقه
يقولون إن جمال الفتى وزينته أدب راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين ومن طود سودده شامخ
سيادته

فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ وأي جمال له أن يقال
أديب يعلم أو ناسخ ثم قال سيتضح لك صدق لهجتي و
استنارة حجتي وسرنا لا نألو جهدا ولا نستفيق جهدا حتى
أدانا السير إلى قرية غرب عنها الخير فدخلناها للارتياد
وكلانا منفض من الزاد فما أن بلغنا المحط والمناخ المختط
إذ لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد
تحية المسلم وسأله وقفة المتفهم فقال وعم تسأل وفقك الله
قال أيباع ههنا الرطب بالخطب قال لا والله قال
ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا الثمر بالسمر قال
هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال اسكت
عافاك الله قال ولا الثرائد بالفرائد قال أين
يذهب بك أرشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الرقيق
قال عد عن هذا أصلحك الله فاستحلى أبو زيد تراجع السؤال
والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام أن الشوط
بطين والشيخ شويطين فقال حسبك يا شيخ فقد عرفت

فتلك واستبنت انك نحذا الجواب صبرة والكنف برخبرة اما
بهذا المكان فلا يشترى شعر بشعيرة ولا النثر بنثارة و
لا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة
ولا اخبار الملاحم بلحمة واما جيل هذا الزمان فما فيهم من
يمنح اذا صيغ له المديح ولا من يجيز اذا انشد له الاراجيز ولا
من يغيث اذا اطرب الحديث ولا من يمير ولو انه امير وعندهم
مثل الاديب كالربع الجديب ان لم يجده الربع ديمة لم يكن له قيمة
ولا دانته بهيمة وكذا الادب ان لم يعضده نشب فدرسه نصب
وخزنه حصب ثم انشد يعدو وولى يجدو فقال لي ابو زيد
اعلمت ان الادب قد بار وولت انصاره الادبار فبوت له
بحسن البصيرة وسلمت بحكم الضرورة فقال دعنا الان من
المصاع وخذ في حديث القصاع واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع
فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك
والزمام بيديك قال ارى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك
وضيفك فناولنيه فاقم لا تنقلب اليك بما تلتقم فاحسنت به الظن

وقلدته

٢

وقلدته السيف والرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض الصداقة
والصداقة فمكثت مليا ارقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع
اللبن في الصيف ولم الق ولا السيف المقامة الرابعة والاربعون
حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم
فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جونها
مغرود وجيبها مزرور ونجمها مغمور وغيمها مركوم وانيلها
اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم ازل انص عنتي واقول
طوبى لك ولنفسي الى ان بصر الموقد بي وتبين ارقالي فانحدر
يعدو الجمزى وينشد مرتجزا

حييت من خابط ليل ساري
هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار
مرحبا بالطارق الممتار
ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مختار
اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار
فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار
لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح وار

ثم تلقاني بتحيته وصافحني براحة اريحي واقتادني الى بيت
عشاره تخور واعشاره تفور ولابده تمور وموائده تدور
وباكنافه اضياف قد جلبهم جالب وتلبوا في قالب وهم يجنون [فاكهة]
الشتاء ويمرحون مرح ذوي الفتاء فاخذت مأخذهم في الاصطلاء
ووجدت بهم وجد الثمل بالطلاء ولما ان سرى الخصر [الحصر] وانتري
أتينا بموائد كالهالات دورا والروضات نورا وقد شحنت باطعمة
الولائم وحميت من العائب واللائم فرفضنا ما قيل في البطنة
ورأينا الامعان فيها من الفطنة حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم
واشفينا على خطر التخم تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوأنا مقاعد السمر
واخذ كل منا يقول بلسانه وينشر ما في جرابه ما عدا شيخا شنهبا [فواد] (?)
مخلولقا برداه فانه ربض حجرة وادرعنا هجرة فغاظنا تجنبه الملبو (?)
موجبه المعذور فيه موثنه الا انا الثناء القول وحشينا في المسألة [العول]
وكلما رمنا ان يفيض كما فضنا او يفيض كما افضنا اعرض اعراض العلية
عن الارذلين وتلا ان هذا الا اساطير الاولين ثم كان الحمية [هاجته]
والنفس الابية ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل

ان

ان يتلاني ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال

عندي اعاجيب ارويها بلا كذب — عن العيان فكنوني ابا العجب

رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم — بول العجوز وما اعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا اسم الخمر

ومسنتين من الاعراب قوتهم — ان يقنوا اخرقة تغني من السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وكاتبين وما خطت اناملهم — حرفا وما قرؤوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما وكتب البغلة
والناقة اذا جمع بين شفريها وخاطهما

وناهبين عقابا في مسيرهم — على تكمههم في البيض واليلب

العقاب الراية وكانت راية النبي تسمى العقاب

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم — نبيلة فانثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات واروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد — حجت جثيا بلا شك على الركب

يعني حجت جثيا اي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجثي جمع جاث

ونسوة بينما ادلجن من حلب   صبحن كاظمة من غير ما تعب

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ

ومدلجين سروا من ارض كاظمة   واصبحوا حين لاح الصبح في حلب

اي اصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما ساء صنعهم   ادتصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

ويافعا لم يلامس قط غانية   شاهدته ولد نسل من العقب

النسل ههنا العدو ومنه قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم

وشائبا غير محتف للمشيب بدا   في البدو وهو فتي السن لم يشب

الشائب ههنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج ويقال فيه مشوب ومشيب

ومرضعا بلبان لم يفه ثمه   رايته في نجاد بين السبب

النجاد المخفة ما لم يكن مظللة فان ظللت فهو الهودج والسبب ههنا

الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

وزارعا ذرة حتى اذا حصدت   صارت غبيرا هواها اخو الطرب

الغبيراء المسكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم

وتسمى

وتسمى ايضا السكركة

وراكضا وهو مغلول على فرس   قد غل ايضا وما ينفك عن جنب

المغلول ههنا العطشان وغل اي عطش

وذايب طلق يقتاد راحلة   مستعجلا وهو ماسور اخو ركب

الماسور الذي يجد الاسر وهو احتباس البول

وجالسا ماشيا تهوى مطيته   به وما في الذي اوردته من ريب

الجالس الاتي نجدا والماشي الذي كثرت ماشيته وفسر بعضهم قوله تعالى

ان امشوا بانه دعاء لهم بكثرة المواشي والنما

وحايكا اجذم الكفين ذا خرس   فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحايك الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه

وصادعا بالقنا من غير ان علقت   كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدع به اي كشفه

ومغرما بمناجاة الرجال له   وما له في حديث الخلق من ارب

الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين

وذا نشاط كصدر الرمح قامته   صادفته يمشي يكبو من الحدب

المحدب ما ارتفع من الارض

وساعيا في مسرات الانام يرى   افراحهم مأتما كالظلم والكذب

افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قولهم لا يترك في الاسلام مفرح

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته   ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد والثاني جمع الذمة وهي البئر قليلة الماء وعني

بالمذهب المسلك اي ماله بالبدو آبار قليلة الماء

وذا قوى ما استبانت قط لينته   ولينه مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة

وساجدا فوق نخل غير مكترث   بما اتى بل يراه افضل القرب

النخل الحصير المتخذ من نخال النخل

وعاذرا مولما من ذل يعذره   مع التلطف والمعذور في تعب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف   والماء يجري عليها جرب منسرب

والبلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقرية دون القوص القطا سكنت   بديلهم عيشهم من خلة السلب

القرية

القرية بيت النمل والدبيلم النمل الكبير

وكوكبا يتوارى عند رؤيته الا   نسان حتى يرى في امنع الحجب

والكوكب النكتة البياض التي تحدث في العين والانسان هنا عين الانسان

ورونة قومت مالا لها خطر   ونقص صاحبها بالمال لم يطب

الروثة مقدم الانف

وصحفة من نضار خالص شربت   بعد المكاس بقيراط من الذهب

النضار ههنا شجر النبع ومنه قول ابرهيم النخعي لا باس ان يشرب بالقدح النضار

ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما   اظله من اعاديه فلم يخب

الخشخاش الجماعة عليهم دروع واسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه   ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الاقط

وكنت ابصرت كرازا لراعية   بالله ينظر من عينين كاللهب

الكراز الكبش يحمل عليه الراعي اداته

وكم راى ناظري فيلا على جمل   وقد تورك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفايل الراي

وعاينت مقلتي عينين مائهما   يجري من الغرب والعينان في حلب

العينين المقلتان والغرب مجرى الدمع

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا   وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكم نزلت بارض لا نخيل بها   وبعد يوم رايت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم رايت باقطار الفلا طبقا   يطير في الجو منصبا الى سبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رايتهم   مخلدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي ابطا شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا   بمنطق ذلق امضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مسنح فحادثني   وما اخل وما اخللت بالادب

المسنح الجالس على مجوح وهي المكان المرتفع الذي تظن انه يجاوزك

وكم انخت قلوصي تحت جنبذة   تظل ماشئت من عرب ومن عرب

الجنبذة

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من سر ساعته   ودمعه مستهل القطر كالسحب

سر اي قطع سرره ويتم ويعني ما يبقى بعد القطع السرة

وكم رايت قميصا ضر صاحبه   حتى اشتكى واهي الاعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم ازار لوان الدهر الحفه   لخف لبه حيث السير مضطرب

الازار هيهنا المراة ومنه قول الشاعر   فدى لك من اخي ثقة ازاري

وقيل عنى بالازار نفسه

هذا وكم من افانين معجبة   عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم للحن القول بان لكم   صدقي ودلكم طلعي على رطبي

وان شدهتم فان العار فيه على   من لا يميز بين العود والحطب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتاويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس بعشك فادرجي الى ان تغشى النعاس واستحكم الارتياح فالقينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فوقفنا بين الطمع والياس وقال الايناس قبل الابساس فظنناه ممن يرغب في

الشكر ويرتئي في الحكم وساء ابا مثوانا ان نعرض للغرم او نخيب بالرغم
فاحضر ناقة عيدية وحلة سعيدية وقال لنأخذهما حلالا ولا تؤدي
اضيافي ذبالا فقال اشهد انها شنشنة اخزمية واريحية حاتمية ثم
قابلنا بوجه بشره يشف ونضرته ترف وقال يا قوم ان الليل قد اجلوذ
والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغنموا راحة الراقد لتشربوا
نشاطا وتبعثوا انشاطا فنعوا ما انيس وتسهل لكم المتعسر فاستصوب
كل ما راه وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الاجفان واغفت الضيفان
وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها

سيري يا ناق سيري وخدي — وادلجي واوبي واسئدي
حتى تطالعي مرعاها الندي — فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتأمني ان تهمي وتجهدي — ايه فدتك النوق جدي واجهدي
واقري اديم فدفد فدفد — وانتعي بالنجح عند المورد
ولا تحطي دون ذاك المقصد — فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد — انك ان احللتني في بلدي
حللت مني بمحل الولد — قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع ابتاع

واذا

واذا املى الضياع انضاع ولما ابلج صباح اليوم وهب النوام من النوم
اعلمتهم ان الشيخ حين اعتام البيات طلقهم البتات وركب الثبج
وفات فاخذهم ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه بما خبث
ثم انشعبنا في كل شعب وذهبنا تحت كل كوكب

قال الشيخ الامام الاوحد ابو محمد رحمه الله قد تضرب سر كل لغز
تحته ولم ابعد على من يقرأه كشفه وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها
هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاحببت ايضاحها
له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ومحنة البحث والمسئلة وبالله
الاستعانة والقوة عشوت الى نار يعني تنورتها لتقصدها فان لم
تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا اي من يعرض وكنت احرد من عين الحرباء والعنز الجرباء
هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور
مع الشمس ابدا وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء
في قوله ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح قبح الرقباء ما ذاك الا
شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء

لقلة شعرها وذكر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول نحو اه
يعني المكثر شحما الكبير نحا وقوله عشاره نحور واعشاره تقور العثا
النوق الحوامل واحدتها عشراء وهي التي قد اتى عليها في الحمل عشرة اشهر
ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعده ايضا والاعشار البرمة العظيمة
كانها شعبت لعظمها يقال برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال
وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد قوله
فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين النار فاكهة
الشتاء فمن يرد اكل الفواكه شاتيا فليصطل ان الفواكه في الشتاء شهية
والنار للمقرورين افضل ماكل وقوله موايدها كهالات يعني دارات القمر
واحدها هالة والدارة الثمر تسمى الطفاوة وقوله مشوش الغمر يعني
المنديل يقال مش يده بالمنديل اذا مسحها ومنه قول امرء القيس
نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب قوله
مشهبا فوداه اي صار من الشيب في لون الاشهب وقوله ربض
بجرح ناحية يعني ويقال في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء
يرتع وسطا ويربض حجرة قوله فاسرعى سمع السامر يعني السمار لان

السامر

السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة
البقر وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق
السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة فلما كان غالب احوال
السمار انهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع
قولهم لا اكلمهم القمر والسمر قوله ليس بعشك فادرجي هذا مثل يضرب
لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فان كان في حائط
او كهف جبل فهو وكر قوله الايناس قبل الابساس هذا مثل ايضا ومعناه
انه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة يونسها
حين يروم حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن
وتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس سميت البسوس قوله عن غب
في الشكر الشكم ما اعطيته على سبيل المكافاة فان اعطيت مبتدئا فهو الشكد
ومنه قول الراجز شكمي عتيد وكذاك شكدي للخير والشر بقاء عندي
كالارض مهما استودعت تودي قوله ناقة عيدية قيل هي منسوبة
الى فحل منجب اسمه عيد وقيل بل هي منسوبة الى نجد من مهرة يقال
لهم بنو عيد بن الاموي على وزن العامري وكانت مهرة وعيد نجدا

بجانب الابل فنسبنا اليهما وقوله حلة سعيدية هي منسوبة الى سعد بن العاص
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسبت جنسها اليه وقوله لا ترزؤ
اضيافى ذبالا اى لا ترزؤهم شيئا ولو قل والاصل فى الذبال ما تحملها
النمل بعينها وقوله شنشنة اخزمية اشارة الى المثل الذى ضربه جد
حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائى حين انشا حاتم
وتقبل اخلاق جده اخزم فى الجود فقال شنشنة اعرفها من اخزم ويتمثل
عقيل بن علفة بهذا حين قال   ان بنى ضرجونى بالدم   من يلق
اساد الرجال يكلم   شنشنة اعرفها من اخزم   ومن يكن ذا اود يقوم
ومن ادعى ان هذا المثل له فقد سهى فيه وقوله اجلوذ اى اسرع فى الذهاب
ومثله اخروط وقوله وثب الى الناقة فرحلها يعنى شد عليها الرحل و
به سميت الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى فى عيشة راضية
اى مرضية ومن ماء دافق اى مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل و
دخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية وعلامة وقوله ارتحلها اى
ركبها وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فركبه حسن عليه السلام فاطال فى سجوده
فلما قضى صلوته قال ان ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله وقوله ورحلها ا

اذعجها

اذعجها وانحصها واخذ بها فى الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس الى المحشر تقيل معهم حيث ما
قالوا وتبيت حيثما باتوا وقوله فادلجى والجى واسئدى الادلاج
بالتخفيف ان يسير من اول الليل والادلاج بالتشديد ان يسير من
اخره والاسم الدلجة بالضم وقيل ان الدلجة بفتح الدال ومنها
بمعنى واحد والتاو بين المنصاب وحده والاساد ان يسير
ليلا ونهارا والسئران يثوب دون الرى وقوله واحدثهم ما قدم
وحدث يقال ذلك لمن يتوالى عليه الهم والدال من حدث يضم
فى هذا الموضع وحده ليوافق لفظ ما قدم فان افردت وجب
فتح الدال منها ومثله قولهم هنانى ومرانى بحذف الالف
اذا ذكر مع هنانى فان افردته وجب ان تقول امرانى الشىء
وكذلك يقولون رجس نجس فيكسرون النون من نجس و
يسكنون الجيم منه ليزاوج لفظة رجس فان افردت قلت نجس
بفتح النون والجيم كما قال تعالى انما المشركون نجس وقوله نجبا
تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن يتخلف فى السفر طرهم

ونتبايم بسليم المقامة الخامسة والاربعون حكى الحارث
بن همام قال كنت اخذت عن اولى التجارب ان السفر مرآة
العجائب فلم ازل اجول كل تنوفة واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت
كل اطروفة فمن احسن ما لمحته واغرب ما استملحته ان حضرت
قاضى الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع
اليه بال فى بال وذات جمال واسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان
المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وحسرت عن النياح ثم نضت
عنها فضلة الوشاح وانشدت بلسان السليطة الوقاح

يا قاضى الرملة يا ذا الذى ... فى يده التمرة والجمرة
اليك اشكو جور بعلى الذى ... لم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه ... وخف ظهرا ادرك العمرة
كان على راى ابى يوسف ... فى صلة الحجة بالعمرة
هذا على انى مذ ضمنى ... اليه لم اعص له امرة
فمره اما الفئة حلوة ... ترضينى واما فرقة مرة
من قبل ان اخلع ثوب الحيا ... فى طاعة الشيخ ابى مرة

احوب

فقال

فقال له القاضى قد سمعت ما عزيت اليه وتوعدتك عليه
فجانب ما عرك وحاذر ان يعرك ويعرك فجثا الشيخ على ثفناته
وتفجر بينبوع نفثاته وقال اسمع عداك الذم قول امرئ
يوضح فيما رابه عذره والله ما اعرضت عنها قلى ولا لهوت
وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا اللذة والذخرة فقد تلقى كاعبا
عطل من الجزعة والشذرة وكنت من قبل اريح الهوى
مذ نبا الدهر هجران عف لا حذار
عنه ولكن اتقى بذره فلا تلم من هذه حاله واعطف عليه واحتمل
قال فالتظت المراة من مقاله وانتضت الحجج لجداله وقالت له
ويلك يا سرعان باس هو لا طعام ولا طعان انضيق بالولد ذرعا
ولكل اكولة مرعى لقد ضل فهمك واخطا سهمك وسفهت نفسك
وشقيت بك عرسك فقال لها القاضى اما انت فلو جادلت الخنسا
لانثنت خرساء واما هو فان كان صدق فى زعمه ودعوى
عدمه فلم فى هم فيقه ما يشغل عن ذيذبه فاطرقت تنظر ازورارا
ولا ترجع حوارا حتى قلنا قد راجعها الخفر وحاق بها الظفر

فقال لها الشيخ تعساً لك ان زخرفت او كتمت ما عرفت فقالت ويحك

وهل بعد المنافرة كتمان او بقي لنا على سر ختم وما بيننا الا من صدق

وهتك صونه اذ نطق فليتنا لا اتينا اليكم ولم نلق الحكم ثم النفعت

بوشاحها وتباركت لانفضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما و

يعجب ويلوم الدهر لهما ويؤنب ثم احضر من الورق الفين وقال

ارضيا بهما الاجوفين وعاصيا التنازع بين الالفين فشكرا على حسن

السراح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد مسرحهما

وثاني شجهما يثني على ادبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له

عين اعوانه وخالصة خلصائه اما الشيخ فالسروجي المشهور بفضله

واما المراة فقعيدة رحله واما تخاكمهما فمكيدة من فعله واحبولة

من حبائل ختله فاحفظ القاضي ما سمع وتلهب كيف خدع ثم قال

للواشي بهما قم فردهما ثم اقصدهما فقصدهما فنهض ينفض مذرويه

ثم عاد يضرب اصدريه فقال له القاضي اظهر ما على ما لبثت ولا تخف

ما استخبثت فقال ما زلت استقري الطرق واستفتح الغلق الى ان

ادركتهما مصحرين وقد زما مطي البين فرغبتهما في العلل وكفلت لهما

بنيل

بنيل الامل فاشرب قلب الشيخ ان يياس وقال الفرار بقراب

اكيس وقالت هي بل العود احمد والفروقة يكمد فلما تبين الشيخ

سفه رايها وغرر اجترائها امسك ذلاذلها ثم انشا يقول لها

دونك نصحي فاقفي سبله واغضي من التفصيل الجمله

وطليقها بتة بتله وحاذري العود اليها ولو عللها

فخبر ما للنص الابرى بقعة فيصاله عمله

فقال القاضي قاتله الله ثم قال لي لقد عيت فيما وليت

فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك ان شئت رويدك لا تعتب

جيلك بالاذى نفعي وشمل المال والحمد منصدع ولا تتعب من

تزيد سائل فما هو صوغ اللسان بمبدع وان تك قد سائك منه

خديعة فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع فقال القاضي قاتله الله

فما احسن تجوينه واملح فنونه ثم انه اصحب رايا بردين وصرف

من العين وقال سر سير من لا يرى الالتفات حتى ترى الشيخ و

الفتاة فبل يديهما بهذا الحباء وبين لهما انخداعي للادباء قال

الراوي فلم ار في الاغراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جاب وجا

حدث الحارث بن همام قال

نزع بي الى حلب شوق غلب وطلب بالدرس طلب وكنت يومئذ
خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير وخففت نحوها
خفوق الطير ولم ازل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها
افنى الايام فيما يشفي الغرام ويروي الاوام الى ان اقصر القلب
عن ولوعه واستطاب غراب البين بعد وقوعه فاغراني الخلو
والمرح الحلو بان اشد حصا الاصطياف بقيعها واستبر رقاع
اهل رقعتها فاسرعت بها اسراع النجم اذا انقض للرجم فحين
خبت بي رسومها وجدت دوحة فيها لمح طرفي شيخا قد اقبل من
وادي غزة وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فظاعني
في فضل الحوض لا خبر يراد باحمص نبش بي حين وافيته وحيى
باحسن مما حييته فجلست اليه لابلو جنى نطقه واكتنه كنه حمقه
فالتفت ان اشار بعصيته الى اكبر اصيبيته وقال له انشد الابيات
العواطل واحذر ان تماطل فجثا جثو ليث وانشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح ... واورد الآمل ورد السماح

صادم

وصارم اللهو ووصل المها ... واعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لادراك محل سما ... عماده لا لادراع المراح

والله ما السودد حسو الطلا ... ولا مراد الحمد رود رداح

واها لحر صدره واسع ... وهمه ما سر اهل الصلاح

مورده حلو لسواله ... وماله ما سال لو مطاح

ما اسمع الآمل ردا ولا ... ماطله والمطل لوم صراح

ولا اطاع اللهو لما دعا ... ولا كسا راحا له كاس راح

سوده اصلاحه سره ... وردعه اهواءه والطماح

وحصل المدح له علمه ... ما مهر العرس مهور الصحاح

فقال له احسنت يا بدير يا راس الدير ثم قال للتلو المشبه بنو
ادن يا نويرة يا قمر الدوير فدنا ولم يتباطا حتى حل من مقعد
العاطي فقال له اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس

فتنتني فجننتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزينتين فتفنن ... في بزني بنف بني

فتنتني بجفني فجنتني لي بغنج يشفي تخيب ظني
في غش خب بتز بين خبيث يبغي تشفي ضغن
فترت في تجنبي فتفني بتبجج يشجي بفن فن
فلما نظر الشيخ الى ما حبره وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا
كما بورك في لا ولا ثم هتف اقرب يا قطرب فاقترب منه فتى يحكي
نجم دجية او تمثال دمية فقال له ادم الابيات الاخياف وتجنب الخلاف
فاخذ القلم ورقم اسمح فبث السماح زين ولا تخب املا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال فنن ام في السوال خفف ولا تظن الدهور تبقي
مال ضنين ولو تقشف واحلم فجفن الكرام يغضي وصدهم في العطاء تعنيف
ولا تخن عهد ذي وداد بثبت ولا تبغ ما تزيف فقال له لا شلت يداك
ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم يا عطرمنشم فلباه غلام كدرة
غواص وجوذر قناص فقال له اكتب الابيات المتائيم ولا تكن من
المشائيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف زينت زينب بقد يقد
وتلاه ويلاه نهد يهد جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعس يجد يجد
قدرها قد زها وتاهت وباهت واغتدت بخد يخد

فارقتني

فارقتني فأرقتني وشطت وسطت ثم نم وجد وجد
فدنت ثم نبت وحنت وحدت مغضبا معضبا بوجد بود فطفق الشيخ
يتأمل ما سطر ويقلب فيه النظر فلما استحسن خطه واستصح ضبطه
قال له لا شل عشرك ولا استخبث نشرك ثم اهاب بفتى فتان يفتر
عن اقاحي بستان فقال له انشد البيتين المطرفين المشبهي
الطرفين اللذين استكملا كل ناقث وأمنا ان يعززا بثالث فقال
له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وانشد من غير تلبث ولا تريث
سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن اعطى ولو سمسمه والمكر مهما اسطعت لا تأته
لتقتني السودد والمكرمه فقال له اجدت يا زغلول يا ابا الغلول
ثم نادى اوضح يا ياسين ما يشكل من ذوات فنهض ولم يتان
وانشد بصوت اغن نقس الدواة ورسغ الكف سينهما
سيناهما ان هما خطا وان درسا وهكذا السين في قسب وبا سفن
والسخ والبخس وانشر قبسا وفي تقسست بالليل الكلام وفي
مسيطر وجروس واتخذ جرسا وفي قريس وبرد قارس تخذ
الصواب مني وكن للعلم مقتبسا فقال له احسنت يا نغيش

يا صناجة الجيش ثم قال شب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة وثب
وثبة شبل مثار ثم انشد من غير عثار بالصاد يكتب قد قبصت دراهما
بانا ملي واحص لتسمع الخبر وبصقت ابصق والصماخ وصنجة
والفص وهو الصدد واقصص الاثر وبخصت مقلته وهذى فرصة
وقدار عد شصة القريصة للحور وقصرت هذا اى حبست وقد دنا
فصح النصارى وهو عيد منتظر وقرصته والخمر قارصة اذا
حذت اللسان وكل هذا مستطر فقال له رعيا لك يا بني لقد اقررت
عيني ثم استنهض ذا جثة كالبيذق وعنقة كالشوذق وامره ان يقف
بالمرصاد ويورد ما اجرى على السين والصاد فنهض يسحب بردته
ثم انشد مشيرا بيديه ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه
وان تشا فهو بالصادات يكتتب مغص ونقص ومسطار ومملص
وسالغ وصراط الحق والسقب المغص الوجع المعترض في الجوف و
هو مسكن العين والنقص نقص البيضة والمسطار الخمر المز و
المسطارة ايضا والمملص الذي يسقط من بدك ولا تشعر به والسالغ
اخو اسنان ذوات الظلف والسقب القرب والسامغان وسقر والكرسي وسلاقي

وعن

وعن كل هذا تفصح الكتب السامغان جانبا الفم والسلاقي
الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد فقال
احسنت يا حبقة يا عين بقة ثم نادى يا دغفل يا ابا زنفل فلبا
فتى احسن من بيضة في روضة فقال ما عندك في هجاء الافعال التي
اخرها حرف الاعتلال فقال لم استمع لاصم صداك ولا سمعت عداك
ثم انشد وما استرشد اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه
فالحق بتاء الخطاب ولا تقف فان كان قبل التاء ياء فكتبه يا
والا فهو يكتب بالالف ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي
تعداه والمهموز في ذاك يختلف فطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه
وفداه ثم قال هلم يا ضفضاع يا ابا قعقاع البقاع فاقبل غلام احسن
من نار القرى في عين ابن السرى فقال له اصدع بتمييز الظاء
من الضاد لتصدع اكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم انشد
بصوت اجش ايها السائل عن الضاد والظاء لكيلا تضله الالفاظ
ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبي واللحاظ

والعظا والظليم والظباء والشيظم والظل والفظى والشواظ

والشظى والفظ والمظم والنقريظ والفيظ والظما والكاظم

والحظوة والمظير والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ

والشظى والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظاظ

والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ

والوظيفات والمواظب والكظة والانتظار والالفاظ

ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والاغلاظ

الوظيف ما فوق الرسغ

ونظيف والظرف والظلف والظاهر ثم القظيع والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والاوشاظ

والقارظ الذى يجنى القرظ وهو نبات يدبغ به سوق عكاظ معروف

والاوشاظ الجماعات

والاخلاظ وظراب الظران والشظف لباهظ والجعظرى والجواظ

الظراب الروابى الصغار واحدها ظرب والظران الحجارة المحددة

واحدها

واحدها ظرور والشظف البؤس وسوء العيش والجعظرى المنتفخ

بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الاكول المختال

والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظبات والادعاظ الظرابين

جمع ظربان وهى دابة لا يطاق فسوها وجمع ايضا على ظرابى بحذف

النون وعلى ظربى وهو جمع شاذ والحناظب ذكور الخنافس والعنظب

ذكر الجراد والظبات باسمين البتر والادعاظ جمع رعظ وهو مدخل

النصل فى السهم والشناظى والدلاظ والظاب والظبظاب والعنظوان والجعاظ

الشناظى نواحى الجبل والدلاظ الدفع والظاب الصخب وقد تبدل الباء

منه ميما وقيل ان الظاب والظام اسمان لسلف الرجل والعنظوان

نبت والظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قلبة والجعظ

الاحمق وقيل انه المتسخط عند الطعام

والشناظير والتعاظل والعظلم والبظر بعده والانعاظ

الشناظير جمع شنظير وهو السيء الخلق والتعاظل تلازم الجراد والكلاب

عند السفاد والعظلم الخطمى فهى هذه النوادر فاحفظها ليقفو اثارك الحفاظ

وانقض فيما صرفت فيها كما تقتضيه فى اصله كغيظ وقاظوا

فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك ولا برء من يجفوك فوالله انك
مع الصبي الفظ لاحفظ من الارض واجمع من يوم العرض ولقد
اوردتك ورنقتك زلالي وثقفتكم تثقيف العوالي فاذكروني
اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون قال الحارث بن همام فعجبت لما
ابدا من براعة مجونة وفاعة واظهر من حذاقة ممزوجة بحماقة و
لم يزل طرفي يصعد فيه ويصوب وينفر عنه ويثقب وهو كمن ينظر
في ظلماء او يسري في يهماء فلما استرابت تنبهي واستبان تدلهي
حملق الي وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فنهضت لفحوى كلامه ووجدته
ابا زيد عند ابتسامه وجعلت الومه على تدريبه صنعة النوكى وتخيره
صنعة الحمقى فكان وجهه ابيض رمادا واشرب سوادا الا انه انشد

وما تمادى

تخيرت حمص وهذه الصناعة لارزق حظوة اهل الرقاعة

فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال الا بقاعه

وما لاخي اللب من دهره سوى ما لعير وربيط بقاعة

ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعة واربح بضاعة وانجح شفاعة
وافضل براعة وربه ذو امرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة

بنسيطر

بنسيطر تسيطر امير ويرتب ترتيب وزير ويحكم تحكم قدير
ويتشبه بذي ملك كبير لولا انه يجرف في امد يسير ويتسم
بحمق شهير ويتقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت
له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام
المذلل له سبل الكلام ثم ازل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه
الى ان غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر ففارقته
ولعيني العبر

حكى الحارث بن همام

قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة فارشدت الى شيخ يحجم
بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي لاحضاره وارصدت نفسي
لانتظاره فابطا بعد ما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب طبقا عن طبق
ثم عاد عود المخفق سعاه الكل على مولاه فقلت له ويلك ابطء فتلي
وصلود زند فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين وفي حرب
كحرب حنين فخففت المشي الى حجامه وجرت بين اقدام واحجام ثم
رايت ان لا تعنيف على من ياتي الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت
ميسمه رايت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة

الطواق ومن الرخام طباق وبين يديه فتى كالعصامة مستهدف
للحجامة والشيخ يقول له اراك قد ابروث راسك قبل ان تبرز قرطاسك
وولیتنی قذالك ولم تقل لي ذالك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا
يطلب اثرا بعد عين فان انت وضحت بالعين جمت في الاخدعين
وان كنت ترى الشيخ اولى وخزن الفلس في الثغر احلى فاقرا عبس و
تولى واغرب عني والانفال المغنى والذى حرم صوغ المين كما حرم
صيد الحرمين انى لا افلس من ابن يومين نتق بسبل لمعنى وانظرني
الى سعتى فقال الشيخ ويحك ان الوعود كغرس العود هو بين ان يدركه
العطب او يدرك منه الرطب فما يدرينى ايحصل من عودك جنى
ام احصل منه على ضنى ثم ما الثقة بانك حين تبتعد ستفى بما تعد
وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فارحنى بالله من البعد
وارحل حيث يهوى الذئب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل
عليه وقال والله لا يجيس بالعهد غير الخسيس الوغد ولا يرد غدير الغدر
الا الوضيع القدر ولو عرفت من انا لما اسمعتنى الخنا لكنك جهلت
فقلت وحيث وجب ان تجد بلك وما انح الغربة والاجلال وا حسن

قول

قول من قال   ان الغريب الطويل الذيل ممتهن   فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما يثين الحر موجعة   فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلى الياقوت جمر غضى   ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت
فقال الشيخ يا ويلتا ابيك وعولة امليك انت في موقف تخر بطهر
وحسب بنصر ام موقف جلد يكشط وقفا يشرط وهبك كما ادعيت
وسلم ان لك البيت احصل بذلك حجم قذالك لا والله ولو ان اباك
انا ف على عبد مناف او نجالك دان عبد المدان فلا تطلب مالك
له بواجد ولا تضرب في حديد بارد وباه اذا باهيت بوجودك
لا بجدودك وبمحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وباعلاقك
لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله
القايل لابنه   بني استقم فالعود تنمي عروقه   قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى   اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق   الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى   على من له الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا   زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى

وان تهدد فاصغ فلا خير في امرئ   اذا اعلقت اشفاره في الشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى   شكا بل اخو الجهل الذي ساار عوى عوى
فقال الغلام للنظار يا للعجبة وللطرفة الغريبة انف في السماء
واست في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم اقبل على الشيخ لبان
سليط وغيظ مستشيط وقال اف لك من صراع باللسان رواغ عن الاحسان
يامر بالبر ويعق عقوق الهر فان كان سبب تعنتك نفاق صنعتك
فرماها الله بالكساد وانساد الحساد حتى ترى افرغ من حجام ساباط
واضيق رزقا من سم خياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر
الفم وتبيغ الدم حتى تلجا الى حجام عظيم الاشطاط ثقيل الاشتراط
كليل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين الفتى انه يشكو لي
غير مصمت ويزاول افتتاح باب مصمت اضرب عن رجع الكلام و
احتفز للقيام وعلم الشيخ انه قد الام بما اسمع الغلام فجنح الى حلمه وبدا له
ان يذعن لحكمه ولا يبغي اجرا على جرمه وابى الغلام الا التمادي بدائه
والهرب من لقائه وما زال الا في حجاج وسباب ولزاز وجذاب الى
ان ضج الفتى من الشقاق وتلى ردنه سورة الانشقاق فاعول حينئذ

لوفارة

لو فارة خس وانعط عرضه وطرح واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته
ويتنصل من عثراته وهو لا يصغي لاعتذاره ولا يقصر عن استعباره
الى ان قال له فداك عمك وعدالك ما يهمك اما ابشام الاعوال اما
تعرف الاحتمال الم تسمع بما قاله واخذ يقول من قال
احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه   من نار غيظك واصفح ان جنى جاني
فقال له الغلام اما انك لو ظهرت على عيني المنكدر لعذرت
من دمعي المنهمر ولكن هان على الاملس ما لاقى الدبر ثم كانه نزع
الى الاستحياء فاقلع عن البكاء ونزع الى الارعواء وقال للشيخ قد
صرت الى ما اشتهيت فارفع ما ارتأيت فقال هيهات شغلت
شعابي جدواي فشم بارقا سواي ثم انه نهض يتقرى الصفوف
ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف   اقسم بالبيت الحرام الذي
تهوي اليه الزمر المحرمة   لو ان عندي قوت يوم لما
مست يدي المشراط والمحجمة   ولا ارتضت نفسي التي لم تزل
تسمو الى المجد بهذي السمة   ولا اشتكى هذا الفتى غلظة
مني ولا اشتكيت منه حمه   لكن صروف الدهر قادتني

كخابط في الليلة المظلمة　　　واضطرني الفقر الى موقف
من دونه خوض اللظى المضرمة　　　فقل لمن ندد كم دفعة
عليَّ او يعطفه مرحمة

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه ورقّ لشكواه فنفحته
بدرهمين وقلت لا كانا ولا كان ذا مين فاستغنى باكورة جناه ونفاه
بما اقتناه ولم تزل الندامى تنهال عليه وتنثال لديه اذا عشية خضراء
وحقيبة بجراء فاردهاه الفرح عند ذلك وهنا نفسه هنالك وقال
للغلام هذا ديع انت بذره وحلب لك شطره فلم تقتسم ولا تحتشم
فتقاسما بينهما شق الابلمة وقضا منفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح
وهم الشيخ بالرواح قلت له قد نبوع دمي ونقلت اليك قدمي فهل لك
ان تحجني وتكفكف ما دهمني فصوب طرفه في وصعّد ثم ازدلف وانشد

كيف رايت خدعتي وختلي　　　وما جرى بيني وبين بعلي
حتى اشبت فاتزا بالحصل　　　ادعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي　　　هل ابصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل　　　ويستبي بالسحر كل عقل

ويعجن

ويعجن الجد بماء الهزل　　　ان يكن الاسكندري قبلي
فالطل قد يبدو امام الوبل قال فنبهتني ارجوزته عليه و
ادرتني انه شيخنا المشار اليه فقرعته على الابتذال والالتحاق بالانذال
فاعرض عما سمع ولم يبال بما قرع وقال كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع
ثم فاصلني مفاصلة الرهان وانطلق وابنه كفرسي رهان قال
الشيخ الامام الاوحد ابو محمد رحمه الله قد اودعت هذه المقامة بضعة
عشر مثلا من امثال العرب وها انا افسرها اما اخاله يلتبس
على من يقتبس اما قوله بطء قند فهو مولى عائشة بنت سعد بن ابي
وقاص وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر واقام
بها سنة ثم جاءها بعد سنة يشتد ومعه جمر فبدد منه فقال
پس پراکنده شد ازو آتش
تعست العجلة واما ذات النحيين فهي امراة من تيم الله ثعلبة حضرت
هلاک شود شتاب
سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلا بها خوات بن جبير الانصاري
ليبتاعهما منها ففتح احدهما وذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى
يديها ثم فتح الاخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى
ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين ونحيها

على النمس فلما قام عنها قالت لاهناك فضرب بها المثل فمن شغل
وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت واكثر الامثال التي على افعل انما من فعل
الفاعل انف في السماء واست في الماء هذا المثل يضرب لمن يتكبر وهو
ويصغر فعالا اروغ من حجام ساباط فحكي انه كان حجاما ملازما ساباط
المداين يحجم الجندي بدانق نسية وبما مرت عليه برهة لا يمر به فيها احد
فكان عند تمادي عطلته يبرز امه فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما
زال يحجمها نوبة بعد نوبة الى ان نزف دمها فماتت يشكو
الى غير مصمت هو مثل يضرب لمن لا يكترث لشان صاحبه ولا يبالي
باستمرار شكايته اذ لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول
الراجز يخاطب جملا له انك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل
او مت ويشبه هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر شغلت
شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب
النواحي واحدها شعب كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه ان
المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها فاما المعبر
الموقع فهو الذي يكثر اثار الدبر بظهره روى

الحارث

الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي انه قال ما زلت مذ رحلت
عنسي وارتحلت عن عرسي احن الى عيان البصرة ولا حنين المظلوم
الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب الرواية من خصايص معالمها
وعلمائها وماثر مشاهدها وشهدائها واسال الله تعالى ان يوطيني
ثراها لافوز بمراها وان يمطيني قراها لاقتري قراها فلما احلنيها
الحظ وسرح لي فيها اللحظ رايت بها ما يملا العين قرة ويسلي عن
الاوطان كل غريب فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب
الظلام وهتف ابو المنذر بالنوام لاخطو في خططها واقضي الوطر
من توسطها فاداني الاختراق في مسالكها والانسلاك في سككها
الى محلة موسومة بالاحترام منسوبة الى بني حرام ذات مساجد
مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان انيقة وخصايص
اثيرة ومزايا كثيرة بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تناهوا في المعاني
فمشغوف بايات المثاني ومفتون برنات المثاني ومضطلع بتلخيص المعاني
ومطلع الى تخليص عاني وكم من قارئ فيها وقار اضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها وناد للندى حلو المجاني ومغنى لا تزال تغن فيه

اغاريد الغواني والاغاني فصل ان شئت بينهما من يصيب واما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها او الكاسات منطلق العنان قال فبينما
انفض طرفها واستشف وزنها اذ لمحت عند دروك براح واخلال
الوداع مسجدا اشتهر بطوائفه وتزدهر بطوائفه وقد اجرى اهل ذكر
حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فبحث عنهم لا ستطر نوتهم
لا لاقتبس نحوهم فلم يك الا كفيئة العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان
ثم ردف التاذين بروز الامام فاغمدت ظبى الكلام وحلت الحبا للقيام
وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود
ولما قضي الفرض وكاد الجمع ينفض وابيح لنا الانتشار في الارض انبرى
من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة
الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على اغصان شجرتي و
جعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي واعددتهم لمحضري
وغيبتي اما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخرة
وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة وان الدين محض
النصيحة والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة وان المستشار مؤتمن

والمسترشد

والمسترشد بالنصح قمن وان اخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك
وصديقك من صدقك لا من صدقك فقال له الحاضرون ايها الخل
الودود والخدن المودود ما سر كلامك الملغز وما شرح خطابك
الموجز وما الذي تبغيه منا لننجز ولو اعجز فوالذي حبانا
بمحبتك وجعلنا من صفوة احبتك ما نألوك نصحا ولا ندخر عنك
نصحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم ممن لا يشقى بهم جليس
ولا يصدر عنكم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون
وسانبئكم ما حل في صدري واستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا اني
كنت عند صلود الزند وصدود الجد اخلصت مع الله نية العقد
واعطيته صفقة العهد على ان لا اسبأ مداما ولا اعاقر ندماما ولا
احسي قهوة ولا اكتسي نشوة فسولت لي النفس المضلة والشهوة المزلة
ان نادمت الابطال واضعت الوقار ورضعت العقار واستطيت
مطا الكميت وتناسيت التوبة كالميت ثم لم اقنع بما اتيكم المرح في ساعة
ابي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وبت صريع الصهباء
في الليلة الغراء وها انا بادي الكآبة لرفض الانابة نامي الندامة لو

المدامة معترف بالاسراف في عب السلاف شديد الاشفاق من نقض الميثاق فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعدني من ذنبي وتدنيني الى

قال ابو زيد فلما حل انشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه ناجيت نفسي يا ابا زيد هذه فرصة صيد فشمر عن يد وايد فنهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

ايها الاروع الذي فاق مجدا وسوددا

والذي يبتغي الرشاد ولا يخوى به غدا

ان عندي علاج ما بثثت عنه مسهدا   فاستمعها عجيبة غادرتني ملددا

انا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى   كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا

مربعي مالف الضيوف ومالي لهم سدى   اشتري الحمد باللهى واقي العرض بالجدا

لا ابالي بمفخر طاح في البذل والندى   اوقد النار باليفاع اذا النكس اخمدا

وبراني المؤملون ملاذا ومقصدا   لم يشم بارقي صد فانثني يشتكي الصدى

لا ولا رام قابس قدح زندي فاصلدا   طالما ساعد الزمان واصبحت مسعدا

فقضى الله ان يغير ما كان عودا   بوء الروم ارضنا بعد ضغن تولدا

فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا   وحووا كل ما استرى لي بها وما بدا

فتطوحت

فتطوحت في البلاد طريدا مشردا   اجتدي الناس بعدما كنت من قبل مجتدى

وتوخيت خاصة اتمنى لها الردى   والبلاء الذي به شمل انسي تبددا

اسباء ابنتي التي اسروها التعندا   فاستبن محنتي ومد الى نصرتي يدا

واجرني من الزمان فقد جار واعتدى   واعني على فكاك ابنتي من العدا

فبذا تمحى المآثم عمن تمردا   وبه تقبل الانابة ممن تزهدا

وهو كفارة لمن زاغ من بعدما اهتدى   ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا

فاقبل النصح والهدى به واشكر لمن هدى   واسمح الآن بالذي يقتني لتحمدا

قال ابو زيد فلما اتممت هذرمتي واوهم المسؤول صدق كلمتي اغراه الكرم الى الكرم بمواساتي ورغبه الكلف الى الكلف في مفاساتي فرضخ لي على الحافرة ونفحني بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حول القصيدة الى لوك العصيدة قال الحارث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشه

وادر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه

وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشه

واجنِ الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشة

وارح فؤادك ان نبا دهر من الفكر المطيشة

فتغاير الاحداث يوذن باستحالة كل عيشة

حكى الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة و
ابتضه قيد الهرم المهيضة احضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه وقال له
يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله
ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا
ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد ندب الى الاذكار وجعل صيقلا للافكار
واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط فاحفظ
وصيتي وجانب معصيتي واحتذ مثالي واقتف امثالي فانك ان
استصحبت نصحي واستصبحت بصبحي امرع خانك وارتفع دخانك
وان تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رماد اثافيك و
زهد املاك ورهطك فيك يا بني اني جربت حقائق الامور وبلوت
تصاريف الدهور فرايت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا
عن حسبه وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة

فارست

فارستُ هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع فما احمدت منها معيشة
ولا استرغدت فيها عيشة اما فرص الولايات وخلس الامارات فكاضغاث
احلام والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام واما
بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات ولما اشبهها بالطيور
الطيارات واما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع فمنهكة للاعراض
وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما خلا ربهما من اذلال او رزق روح بال
واما حرف ذوي الصناعات فغير فاضلة عن الاقوات ولا نافقة في
جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحيوة ولم ار ما هو لذيذ
المطعم بارد المغنم صافي المشرب وافي المكسب الا الحرفة التي وضع ساسان
اساسها ونوع اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني غبراء
منارها فشهدت وقائعها معلما واخترت سيماها لي ميسما اذ كان
المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو اليه
الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان اهلها اعز قبيل واسعد جيل
لا يرهقهم من حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع
ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون

بين ثام وقد انه بهم منتزهة وقلوبهم مرفهة وطعمتهم معجلة واوقاتهم
غير مؤجلة اينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون اوطانا
ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عمن تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له
ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رققت وما فتقت فبين لي
كيف انتقف ومن اين تؤكل الكتف فقال يا بني ان الاركاض بابها
والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن اجول من قطرب
واسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر وابسط من ذئب متنمر
واقدح زندك بجدك واقرع باب رزقك بجهدك وجب كل فج
وخض كل لج وانتجع كل روض وادل دلوك الى كل حوض ولا تسأم
الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من
طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل فانه عنوان النحوس و
لبوس ذي البؤس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة
وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ
الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان
جراءة الجنان تطلق العنان وتنطق اللسان وتهاب الكسل وسبب الفشل تدرك الحظوة وتملك الثروة
كمالات الخورم

ومبطاة

ومبطاة للعمل ومخيبة للامل ولهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن
هاب خاب ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر وجراءة ابي الحرث وحزامة
ابي قرة وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثاب ومكر
ابي الحصين وصبر ابي ايوب ولطف ابي غزوان وتلون ابي براقش
واحلب بضرع اللسان واخدع بسحر البيان وادلد السوق قبل الجلب
وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع ومهد لجنبك
قبل المضطجع واتخذ بصيرتك للعيافة وانعم من نظرك في القيافة
فان من صدق توسمه طال تبسمه ومن اخطأت فراسته ابطأت
فريسته وكن يا بني خفيف الكل قليل الدل واغبا عن العلل فانما من
الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد
ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد و
فضل اليوم على الغد فان للتأخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات
معقبات وبينها وبين النجز عقبات واي عقبات وعليك بصبر
اولي العزم ورفق ذي الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق

السبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نابك بلد او نابك فيه نكد
فبت منه املك واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة
ولا تكرهن النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا على ان الحركة
بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم ان الغربة والنقلة مثلة وقالوا
هي ثكلة من اقنع بالوذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت
الاغتراب واعددت له العصا والجراب فتخير رفيق المسعد من قبل ان
تصعد فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق
خذها اليك وصية لم يوصها قبلي احد غراء حاوية خلاصات المغازي الزبد
نخمتها تنقح من محض النصيحة واجتهد فاعمل بامثلة على التبياح الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد ثم قال يا بني قد
اوصيت واستقصيت فان اقتديت فواها لك وان اعتديت فآها منك
والله خليفتي عليك وارجو ان لا يخلف ظني فيك فقال له ابنه يا ابه
لا وضع عرشك ولا رفع نعشك لقد قلت سددا وعلمت رشدا ونحلت
مالم ينحل والد ولدا ولئن امهلت بعدك ولا ذقت فقدك فلاتأذبن

باذابك الصالحة ولا قتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما اشبه
الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز ابو زيد للجواب وابتسم
وقال من اشبه اباه فما ظلم قال الحارث بن همام فاخبرت
ان بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا
لقمن وحفظوها كما تحفظ ام القران حتى انهم ليرونها الى الآن اولى
ما لقنوه الصبيان وانفع لهم من نحلة العقيان
حكى الحارث بن همام قال اشعرت في بعض الايام هما
برح بي اشعاره ولاح على شعاره وسمعت ان غشيان مجالس الذكر
يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من الجمر الا قصد الجامع
بالبصرة وكان اذذاك ماهول المسانيد مشفوه الموارد يجتنى من
رياضه ازاهير الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه
غير وان ولا لاو على شان فلما وطيت حصاه واستشرفت اقصاه
تراءت لي ذو اطمار باليه فوق صخرة عاليه وقد عصبت به عصب
لا يحصى عديدهم ولا يناد وليدهم فابتدرت قصده وتوردت
ورده ورجوت ان اجد شفائي عنده ولم ازل انتقل في المراكز

واغضى اللاكن والواكز الى ان جلست بجاهه وحيث امنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا السروجى لاريب فيه ولا لبس يخفيه فسرنى براه هيئة
وارفضت كتيبة غمى وحين رايت وبصر بمكانى قال يا اهل البصرة
رعاكم الله ووقيكم وقوى تقاكم فما اضوع رياكم وافضل مزاياكم
بلدكم اوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة وافسحها رقعة وامرعها نجعة
واقومها قبلة واوسعها دجلة واكثرها انهارا ونخلة واحسنها تفصيلا و
دهليز البلد الحرام ومقابل الباب والمقام واحد جناحى الدنيا
والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس ببيوت النيران ولا طيف فيه
بالاوثان ولا سجد على اديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة و
المساجد المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار المحمودة
والخطط المحدودة به ملتقى الفلك والركاب والحيتان والضباب والحادى
والملاح والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح والسابح
وله آية المد الفائض والجزر الغائض واما انتم فممن لا يختلف فى خصلتين
اثنان ولا ينكرهما ذو شنآن اطوعكم رعية للسلطان واشكركم
للاحسان وزاهدكم اورع الخليقة واحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم
[illegible]

علامة

علامة كل زمان والحجة فى كل اوان ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه
والذى ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر الا ولكم فيه اليد الطولى
وان شئتم فانتم احق به واولى ثم انكم اكثر اهل مصر مؤذنين واحسنهم فى
النسك قوانين وبكم اقتدى فى التعريف وعرف التجمير فى الشهر الشريف
ولكم اذا قرت المضاجع وهجع الهاجع تلكاد يوقظ النائم ويؤنس القائم
وما ابتسم ثغر فجر ولا تبلج نوره فى بر ولا بحر الا واهتاف بكم بالاسحار
دوى الرج فى البحار فبهذا اسلم عنكم الفعل واخبر النبى من قبل و
بين ان دويكم بالاسحار كدوى النحل فشرفا لكم ببشارة المصطفى
ودواها المصركم وان كان قد عفا ولم يبق منه الا شفا ثم انه حزن لسانه
وخطم بيانه حتى جدح بالابصار وقرف بالاسئار فتنفس تنفس من فيد
بالقود او ضبث ببرائن اسد ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فما
منكم الا العلم المعروف ومن له المعرفة والمعروف واما انا فمن عرفنى
فانا ذاك وشر المعارف من اذاك ولم يثبت عرفنى فسأصدقه صفتى
انا الذى انجد واتهم وايمن واشام واصحر وابحر وادلج واسهر نشأت
بسروج وربيت على السروج ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك

والتثت العرائك واقتدت الشوامس وادغمت المعاطس واذبت
الجوامد وامعت الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم
والغوارب والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحوني من
نقلة الاخبار ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا
كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة الحمت
وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست واساد افترست
وكم علي غادرته لقا وكاس استخرجته بالرقا وحجر بحرته حتى انصدع
واستنبطت زلاله بالخداع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود
غربيب وبرد الشباب قشيب فاما الان فقد استشن الاديم وتاود
القويم واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع وترقيع الخرق
الذي قد اتسع وكنت رويت في الاثار المسندة والاخبار المعتمدة
ان لكم في كل يوم من الله تعالى نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد
وسلاحكم الادعية فقصدتكم انضي الرواحل واطوي المراحل حتى قمت
هذا المقام فيكم ولا من لي عليكم اذ ما سعيت الا في حاجتي ولا اتعبت
الا راحتي ولست ابغي عطيتكم بل استدعي ادعيتكم ولا اسالكم اموالكم

بل استنزل سوالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والاعداد للمآب
فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفو عن السيئات ثم انشد

استغفر الله من ذنوب   افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا   ورحت في الغي واغتديت
وكم اطعت الهوى اغترارا   واحتلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا   الى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي   الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا   نسيا ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير   من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فانت اهل   للعفو عني وان جنيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه في السماء
الى ان دمعت اجفانه وبدا رجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة
الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم يا اهل البصرة جزاء
من هدى من الحيرة فلم يبق في القوم الا من سر بسروره ورضخ
له بميسوره فقبل عفو برهم وانثال يغرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة

يأم شاطى البصرة واعتقدته الحيث تحالينا وامنا النحس والنجس
علينا فقلت له لقد اغربت فى هذه التوبة فما رايك فى التوبة فقال
اقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيآت ان شانى لعجاب وان دعاءة
قومك لمجاب فقلت زدنى ايضاحا زادك الله صلاحا فقال وابيك
لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع
فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه ولمن باتوا يدعون عليه ثم ودعنى
وانطلق واودعنى القلق فلم ازل اعانى الفكر والشوق المبرح
ماذكر وكلما استنبأت خبره من الركبان وجوابة البلدان كنت
كمن حاور عجماء ونادى صخرة صماء الى ان لقيت بعد تراخى الامد
وتراقى الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا
ان عندنا الخبر اغرب من العنقاء واعجب من نظر الزرقاء فسألتهم
ايضاح ما قالوا وان يكيلوا لى ما اكتالوا فحكوا انهم الموا بسروج
بعد فادرها العلوج فراوا ابا زيدها المعروف قد لبس الصوف
وام الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت اتعنون ذا المقامات
قالوا انه الآن ذو الكرامات فحفزنى اليه النزاع ورايتها فرصة لا تضاع

فادرغد

فارتحلت رحلة المعتد وسرت نحو سروج بالجد حللت بمسجده وقرارة
متعبده فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه وانتصب فى محرابه وهو ذو عباءة
مخللة وشملة موصلة فهبته مهابة من ولج على الاسود والفيته
ممن سيماهم من اثر السجود ولما فرغ من سبحته حيانى بمسبحته من غير
ان نغم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على اوراده
وتركنى اعجب من اجتهاده واغبط من يهدى الله من عباده ولم يزل
فى قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع الى ان اكمل اقامة
الخمس وصار اليوم امس فحينئذ انكفأ بى الى بيته واسهمنى من قرصه
وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى بمناجاة مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق
للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجع
بصوت فصيح خل ادكار الاربع والمعهد المرتبع والظاعن المودع
وعد عنه ودع واندب زمانا سلفا سودت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا
على القبيح الشنع كم ليلة اودعتها ماثما ابدعتها لشهوة اطعتها فى مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها فى خزية احدثتها وتوبة نكثتها لملعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السموات العلى ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعى

وكم عظمت من بدع   وكم امنت مكره   وكم نبذت امر مبدئ الحق المرتفع

وكم ركضت في اللعب   وفهت عمدا بالكذب   ولم تراع ما يجب من عهده المتبع

فالبس شعار الندم   واسكب شآبيب الدم   قبل زوال القدم   وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف   ولذ ملاذ المقترف   واعص هواك وانحرف   عنه انحراف المقلع

الام تسهو وتني   ومعظم العمر فني   فيما يضر المقتني   ولست بالمرتدع

اما ترى الشيب وخط   وخط في الراس خطط   ومن يلح وخط الشمط   بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي   على ارتياد المخلص   وطاوعي واخلصي   واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى   من القرون وانقضى   واخشي مفاجاة القضا   وحاذري ان تخدعي

وانتهجي سبل الهدى   واذكري وشك الردى   وان مثواك غدا   في قعر لحد بلقع

اها له بيت البلا   والمنزل القفر الخلا   ومورد السفر الالى   واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه   قد ضمه واستودعه   بعد الفضاء والسعة   قيد ثلاث اذرع

لا فرق ان يحله   داهية او ابله   او معسر او من له   ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي   يحوي الحيي والبذي   والمبتدي والمحتذي   ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي   وربح عبد قد وقي   سوء الحساب الموبق   وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى   ومن تعدى وطغى   وشب نيران الوغى   لمطعم او مطمع

...ل

في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم   وارحم بكاء المنسجم   فانت اولى من رحم

وخير مدعو دعي

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده وانطلقت رديفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر اخذ يهينم بدرسه ويبلو في قالب امسه وفي ضمن ذلك يرن ارنان الرقوب ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه قد التحق بالافراد واشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي بتلك الحال فكانه تفرس ما نويت او كوشف بما اخفيت فزفر زفير الاواه ثم قرا فاذا عزمت فتوكل على الله فاسجلت عند ذلك بصدق المحدثين وايقنت ان في الامة محدثين ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح وقلت اوصني ايها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينيك وهذا فراق بيني وبينك



وكانت هذه خاتمة الكلام

قال الشيخ الامام الاوحد ابو محمد القاسم بن علي رحمه الله هذا آخر المقامات التي
انشاتها بالاضطرار واملتها بلسان الاضطرار وقد الجئت الى ان ارصدتها
للاستعراض ونادت عليها في سوق الاعراض هذا مع معرفتي بانها
من سقط المتاع ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع ولو غشيتني نور التوفيق
ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن
كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل
اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو
انه اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة

تمت بالخير عمت والحمد لله

اولا واخرا







